

ديسمبر ١٩٣٦

سبيل الجوارح



وافق البرلمان بمجلسيه على مشروع المعاهدة
وأيذلك تمت الموافقة من البرلمان البريطاني. وقد
كان هذا منتظرا لأن المعاهدة تتفق ومصالح
القسين البريطانى والمصري. وهى من ناحيتنا
تفتح لنا عهدا بالاستقلال والديمقراطية وهو عهد
نرجو ألا يصاب بادواء الاثورةراطية
ولم يعد للحكومة ولا للشعب، بل لم يعد
لل فرد من الامة أن يمتدع عن اصلاح البلاد
بالاشتغال بقضية الوطن. فان هذه القضية قد
انتهت بسلام. فيجب أن نرصد جهودنا من الآن
إلى ترقية الصحة والتعليم ومكافحة الفقر. ولنا
نهاد في أن حكومتنا متنبهة إلى ذلك. فان ما تقوم
به وزارة التجارة والصناعة مثلا يدل على أنها
تضع البرامج لاصلاحات كبيرة. فانها تدرس ضروب
التأمين الاجتماعى فى الامم الاوربية بنية ادخاله
فى مصر. وهى قد هيأت مشروعا للثقافات مهما
كان فيه من النقص فانه يعد با كورة حسنة للاصلاح
اذ أن اصلاح أحوال العمال يكاد يكون مستحيلا
بدون ثقافات منظمة

وأول ما يجب أن تقوم به بعد هذا الاستقرار
أن نمن قانونا يكفل بقاء الدستور وصيافته من

الانقلابات التي ربما ينوبها دعاة الاستبداد . ثم بعد ذلك نشرع في مطاوعة الفقر باعتبار أنه الأساس لكل نقص آخر في الأمة

أبو الهول

ليس بين المنقبين عن الآثار المصرية من هو أسعد حظاً من الأستاذ سليم حسن إلا إذا اعتبرنا مكتشفات كارت التي أثارَت من إعجاب العالم المتمدن ودعشته أكثر مما أثارته مكتشفات الأستاذ سليم حسن . ولكن الشيء الذي يدعو إلى الأسف أنه ليس في قبور الأهرام التي اكتشفها الأستاذ سليم حسن ولا في قبور طيبة التي اكتشفها المستر كارت ما ينير عن تاريخ مصر القديم . فان ما كان يعرفه الاثريون قبل الاكتشاف لم يزد بهما شيئاً جديداً

ولكن في اكتشاف لوحتين عند أبي الهول ما ربما ينير قليلاً عن تاريخ مصر القديمة . فان إحدى اللوحتين توهم أن أبا الهول هو تمثال رع أي الشمس المؤلهة . وكان المظنون أنه تمثال الملك أخنفرع . وليس هناك عبارة يقينية تؤيد هذا الوهم الذي لو صح لكانت له قيمة كبيرة عن تفسير هذا اللغز القديم — لغز أبي الهول

ARCHIVE
انقلاب في العراق

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



سعيد نوري (من الوزارة السابقة)

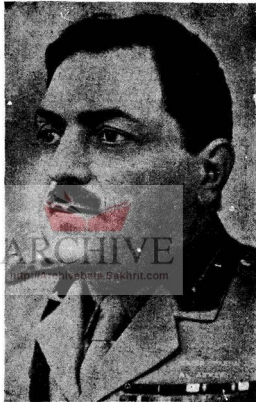
حدث انقلاب خطير في العراق . فان قائد الجيش بكر صدق أثار على العاصمة بطائرات القنصليات وفتن سائيل لكي تستقيل الوزارة . ثم لم تمض ساعات حتى قتل جعفر العسكري القائد العربي المشهور . ثم استقالت الوزارة وحل البرلمان ولم يعين يوم لا انتخاب برلمان جديد

وباستقالة وزارة ياسين الهاشمي عينت وزارة جديدة برئاسة حكمت سليمان . وقد علل هذا الانقلاب بأن الوزارة السابقة كانت بطيئة في الإصلاح وبأن القصر لم يكن راضياً عنها

وهذا الكلام الأخير يشبه ما كنا نسمعه أيام زكي الأبراشي في مصر . وهو لا يقال في حكومة

دستورية لأن القصير يجب أن يرضى عن الوزارة التي يرضاها الشعب

وهناك متفائلون
يقولون أن بكر صدقي
وحكمت سليمان ينويان
السير بالعراق في النهج الذي
سار فيه مصطفى كمال. أي
توجيه الأمة نحو الحضارة
الغربية بقوة وسرعة. فإذا
كان الأمر كذلك فإن
الانقلاب لا يبعد كارثة.
وإن كان من العمير أن
يوجد رجل أو رجال من
طراز مصطفى كمال



والعراقيون واقعون
بين إيران من الجنوب وتركيا
من الشمال. وكلتا هاتين
الدولتين قد سلخت عن
نفسها النوب اشرقي
وتوجهت نحو الحضارة
الاوربية. ولذلك يسهل على
العراق أن تحتذيها

جعفر العمكري

الحرب الاسبانية

مضى على النازيين الذين يقودهم فرانكو نحو ٢٤ يوما وهم عاجزون عن اقتحام مدريد بعد أن
كانوا يؤمنون أنهم سيفتحونها في أقل من ٢٤ ساعة. وقد اعتادت حكومة الجبهة الوطنية قوتها
وصمدت للقتال بل هي شرعت في الهجوم. ولا يرجح أن ينتصر أحد الفريقين على الآخر. وأغلب

الظن أن اسبانيا ستقسم قسمين : واحد في الغرب بحيث تستمر عليه حكومة شيوعية . وآخر في
الشرق يتحد بسرعة نحو الشيوعية

وقد ارتبكت أوزمات لهذه الثورة الاسبانية وأوشكت أن تشبك في حرب لأن روسيا كانت
ولا تزال تتأخذ حكومة الجبهة . وكذلك تعمل فرنسا . في حين أن إيطاليا وألمانيا وبرتغال يساعدن
الحكومة فرانكو . وقد أعلن فرانكو الحصار البحري على حكومة الجبهة . وهذا يعني أنه سيفتح
الضيق والبؤس التي تعتمد على ميناء برشلونة . وما دامت الحكومات الأوروبية - ما عدا إيطاليا
وألمانيا - لم تعترف به فإن التصادم بينها وبينه ليس بعيدا . وقد أصبحت أوروبا كلها هذه الأيام في
حال عقلية تشبه الحال التي ساقها إلى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ . فإن كل دولة تستعد للحرب
وتعزز أبنائها بالضرائب الباهظة لصنع المدافع وتكوين الذخائر . وتقهقرت عصبة الأمم من مسرح
السياسة حتى كأنها لا وجود لها . والوساوس تملأ الجو . فإن بريطانيا لا تترتاح إلى الاستعداد
الحرجي الذي تبديه إيطاليا في البحر المتوسط . وبلجيكا تعلن من الآن حيادها في حرب قادمة
بين ألمانيا وفرنسا

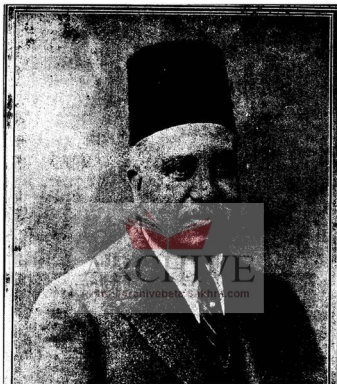
ألمانيا واليابان

وفي هذا الارتباك العام والوساوس السائدة أعلن اتفاق يشبه المحالفة بين اليابان وألمانيا غاية
مكافحة الشيوعية . والأصل في هذا الاتفاق هو خوف ألمانيا من الاتفاق الذي عقده بين روسيا وفرنسا .
لقد فسرت ألمانيا بأنه محالفة بين هاتين الدولتين عليا . ولا يسع النصف إلا أن يمتد ذلك أيضا
وأوروبيا إلى الآن بمثابة المدينة التي قتلت قضاها وهدمت محكمتها وركت الحكم لغوائها .
فإن إيطاليا قد عملت على إلغاء عصبة الأمم فألغتها بالتحدي المتوالي ولم تبق منها غير الاسم . وجميع
الظواهر تدل على أن العالم يجب أن ينتظر حربا أخرى أهول من الحرب الكبرى قبل أن تنفق أوروبا
على القضاء « الولايات المتحدة الأوروبية »

نظرية الميكروبات

يرى القاري في هذا العدد مقالا منيرا للأستاذ رمسيس شحاتة عن النظرية الميكروبية للقائه
بأن الأمراض المعدية تعود إلى ميكروبات . فإن الكاتب يلخص هنا آراء جديدة يقول بها علماء
محدثون وينكرون فيها ما عزي إلى الميكروبات من الأهمية . فإن الميكروب لا يهاجم الجسم بل
الجسم هو الذي يجذب الميكروب على نحو ما يجذب جسم الميت ميكروب الضغن . ومن هنا يجب
أن يتجه الطب نحو تقوية الجسم وليس نحو مكافحة الميكروب بالذات . وهذا المقال يتفق والزرعة
التجديدية لهذه المجلة التي تروى المبادئ الثقافية لنقل ما يجذب فيها من الآراء

النهضة الصناعية



صاحب المعادة محمد طلعت حرب باشا

مما يسر جميع الواقفين على التطور الاقتصادي في البلاد أن النهضة الصناعية تتقدم ببطء ولكن مع الاطمئنان . والفضل في تقدمها لشركات بنك مصر المختلفة : وآخر مانويه عن تقدمها أن شركة الغزل والنسيج بالحلة الكبرى قد أعلنت عن زيادة رأس مالها حتى يبلغ مليون جنيه . وليس الوقت بعيدا حين يمكن مصانع المحلة أن تكفي القطر كله بالأقمشة القطنية

الهديّة الثانية

أرسلنا مع هذا العدد الهدية الثانية للمشتركين وهي كتاب الأستاذ أحمد زكي بدوي عن التطور الديني . أما الكتاب الاول فهو الحياة الجديدة للأستاذ تولا يوسف



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



اشتهرت انجلترا بحرف ودجود ولا يزال الانجليز يصنعون طقوس الشاي والقهوة على
طريقة ودجود . وهنا طقسان للقهوة سُمّا على هذه الطريقة



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المراوح

رسم زيتي للرسام الانجليزي بيرسكين

ألمانيا والاصلاح الاجتماعي

الاشتراكية — سواء أ كانت ديمقراطية أم وطنية — هى من المخترعات الألمانية فان زعيمها المكروه الآن «كارل ماركس» كان ألمانيا بثقافته وافته وان لم يكن كذلك بدمه اليهودى وهو يكره الآن فى ألمانيا لأن اشتراكيته كانت عالمية ليس فيها شيء من الوطنية ، ولأن روسيا قد جعلته نبيها المعصوم ولأن الدم اليهودى كان يجرى فى عروقه

ولكن ألمانيا ليست اشتراكية بسبب كارل ماركس فقط . فان الألمان منذ أيام الامبراطرة وبسمارك بل منذ أيام هيجل كانوا ولا يزالون ينظرون الى « الدولة » كأنها محور النظام أو القلب الذى تعزى اليه الحياة الاجتماعية . وقد شرعوا أيام بسمارك فى وضع ما يسمى الآن « التأمين الاجتماعى » اى ان الدولة يجب أن تكفل للعامل وللمسن وللمريض جزاء ماليا يقبه الحاجة والاشتراكية مذهب اقتصادى اجتماعى يمكن أن يتخذ ألوانا مختلفة . فيكون ديمقراطيا صرفا لا يكاد يكون للدولة شأن فيه أو قد يكون حكوميا مركزيا فيه هى كل شيء . وقد عرفنا نحن فى مصر مثل هذا النظام الثانى أيام التوابع كما ثبت ذلك كتاب درين الذى ترجمه الى العربية الاستاذ أنطون ذكرى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولا تخلو أمة متعذنة من لون من ألوان الاشتراكية . وإذا تركنا روسيا جانبا فاننا نجد ان أسوج هى أكثر الأمم الأوروبية اقبالا على الاشتراكية ذلك انها قد صممت التأمين الاجتماعى وأسست الحكومة هناك طائفة من المصانع تديرها نفسها وتبيع منتجاتها للجمهور . وبلى أسوج ألمانيا ثم بريطانيا . والذى يقرأ خطب الرئيس روزفلت ويتأمل مشروعاته لا يسهه إلا الاعتقاد بأن الرجل اشتراكي لاغش فيه . والواقع انه ليس فى العالم رجل ينطوى قلبه على البر او ذهنه على النظام إلا ويرى نفسه سائرا فى طريق من الطرق الاشتراكية المختلفة التى تؤدي إلى تأمين جميع أفراد الأمة من الفقر والمرض والشيخوخة والجهل . ولا عبرة بعد ذلك أن تكون هذه الاشتراكية « وطنية » على مذهب هتلر أو « عالمية » على مذهب كارل ماركس

وألمانيا هى الآن أقل الأمم الأوروبية ذهبيا إذا اعتبرنا مثويه الذهب إلى السكان ولكن النظام أو الأنظمة الاشتراكية التى تمارسها قد جعلت كل عامل فيها أما مستخدما يؤجر وأما حاملا تؤدي له امانة العطل . وقد منع أبواب المصانع من الاستعداد بالعمال كما منعوا من الاستعداد بالجمهور . فلا يجوز لهم طرد العمال كما لا يجوز لهم فرض الانحاز الباهظة على منتجاتهم . ولكل عامل الحق فى

اجازة سنوية مأجورة كما لو كان يعمل
وقد أسس هتلر هيئات تسمى « القوة من المرح » لاستعمال فراغ العمال فيما يلتذون من
النشاط الذى يحبب الجسم والدهن . وهناك هيئة أخرى تدعى « هيئة الرضاء الاقتصادى الوطنى »
فانيتها مكافحة الحاجات التى يجلبها الشتاء على الفقراء . كما أن هدم البيوت القديمة واصلاح الأرض
الزراعية ، قد سار كلاهما سيراً حسناً
والاشتراكية الوطنية فى ألمانيا فى مزاجها الذهنى الحاضر تتجه نحو تقوية الحكومة والاستعداد
لصاعة الخطر حين ينفخ فى بوق الحرب . ولذلك يتجه النشاط نحو خدمة الجمهور بالاستعداد
لهذه الساعة . فان المعاهدة التى بيننا وبين الانجليز قد نصت على طرق عسكرية . ونحن نتعامل من
تفقاتها القادمة . ولكن فى ألمانيا من هذه الطرق ما يزيد على ما يطلب منا مائة ضعف ، وهى من المنة
بحيث تتحمل ضغط المدافع والدبابات وما اليهما
والحكومة الألمانية كما تعنى بإيجاد تلافات للفلاحين يحفظون فيها غذاءهم أيام الصيف كذلك
تعنى بإيجاد أتومبيل يستعمله العامل ولا يزيد ثمنه على ٦٠ أو ٥٠ جنيه . فإذا كانت الطرق العسكرية
تفيد فى التزه وجذب المياحين فكذلك الأتومبيل الرخيص يخدم العامل والفلاح أيام السلم
ويخدم الدولة أيام الحرب



الدار الجديدة التى بنيت فى مونيخ بألمانيا لإدارة الحزب الوطنى الاشتراكي



السيدة الفريدا شومان الفارسة الألمانية محبوب أنحاء ألمانيا على جوادها لجمع التبرعات لأمانة
الفتاة الفقراء . وستقطع ٣٥٠٠ كيلومتر في تجوالها الى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٣٧

القوانين والفراغة

كان الملك بوخوريس مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين أول من جمع شتات القوانين وأمر بتعديلها تعديلا يماشى مع مقتضيات زمانه . وقد سميت مجموعته بمجموعة قوانين بوخوريس . وكان التعديل النشرى مشعبا بروح قوانين حلفائه الاشوريين والسكديانيين . وكان أظهر مكان للتعديل والاخذ بالاصول السكديانية والاشورية هو الجزء الخاص بالالتزامات على اعتبارها الاصل الاول للقانون وعليها تركز أسس المعاملات وفيها تتجلى وحدة التشريع العالمى ان صحت الاجلام يوما واعتنقت الشعوب جمعا أصولا واحدة في المعاملات مصدرها أصول الالتزامات العامة . كما يرغب في ذلك الاستاذ المعروف ادوار لامير في بحوثه المستفيضة . وسميت مجموعة بوخوريس فيما بعد عند الاغريق بقانون العقود

ومن سنة ٥٦٩ الى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد حكم مصر أمسيس الثانى أحد ملوك الاميرة السادسة والعشرين وأصدر هو الآخر مجموعة سميت باسمه أي مجموعة أمسيس . ومن سنة ٤٠٥ الى سنة ٣٩٩ جاء الملك نفريت مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين وأعاد العمل بمجموعة بوخوريس بعد تعديلها وتهذيبها

ويقول المؤرخون بل يؤكدون ان العمل بمجموعة بوخوريس - نفريت ظل قائما في بعض العصور الرومانية حتى سنة ٢١٢ ميلادية

وقد تأثرت تشريعات البلاد القائمة على شواطىء البحر الابيض المتوسط بالاصول التشريعية المصرية بالجوع الى بوخوريس ، وبوخوريس - نفريت . وقد أخذت التشريعات الاغريقية شيئا كثيرا عنها . أى ان الاخذ بالتبادل التشريعى كان مغروفا لدى المصريين والاغريق وظل للتشريعات المصرية القديمة أثر ظاهر في التشريعات الرومانية حتى سنة ٢١٢ م كما تقدم . وأكثر الاغريق من الاخذ عن التشريع المصرى القديم عندما حضر لمصر مشرعهم المعروف سولون ثم عاد لبلاده بعد ذلك وهو يحمل في رأسه ما شاهده له قدرته العظيمة القانونية من الآثار التشريعية المصرية حتى ذاعت الاصول القانونية المصرية القديمة ذوقا ظاهرة الأثر في التشريعات الاغريقية

لم يقف أثر التشريع المصري القديم عند الاغريق حسب بل ذهب الى روما كما تقدم . ولما قام هيرودوت وأشاد في الألعاب الأولمبية بمائة التشريعات المصرية وأخصها مجموعة أحسن النفع الرومانيون الى ذلك واقتبسوا منها شيئا كثيرا وأودعوها مجموعة الاثنتي عشرة لوحة الموضوعة سنة ٤٠٠ - ٤٠٩ قبل الميلاد وهو الوقت الذي كان فيه أحسن الثاني يحكم مصر باعتباره أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين

ومجموعة الاثنتي عشرة لوحة الموضوعة قبل التاريخ الميلادى بأربعة قرون ونصف قرن هي أول مرحلة من مراحل عهد التجميع عند الرومان حيث قامت بعملها جماعة من أشراف الرومان وعدد أفرادها عشرة صاغوها وأفرغوها في قالب تشريعي وقدموها لمجلس الشعب وعلقت بعد ذلك بالسوق العامة . ثم أحرقتها الفالايون عندما أحرقوا روما سنة ٣٩١ قبل الميلاد . والقوحت الوجود بعد انما هي صورتها لا أصلها

من هذا يقين ان التشريع المصري القديم دخل بلاد الاغريق وبلاد البحر المتوسط ودخل روما وظل العمل آخذا بأصوله حتى سنة ٢١٢ بعد الميلاد
ولعل السبب في هذا التسرب التشريعي انما يرجع الى ظاهرة التجميع وهي حصر الاسول المقتة وتمديلهما وتهذيبها تمديلا وتهذيبا يتناسب مع ظروف عصر التجميع من بيان الاصل منفردا والتعديل بعده

وأخذ الرومان من أربعة قرون ونصف قبل الميلاد الى القرن السادس بعد الميلاد - أى عصر جيوسنتيان - يميلون في تهذيب الاصول القانونية وشرحها شرحا مستفيضا حتى البحوث وذات التفسيرات العلمية ذيوما عظما وكثرت المؤلفات الى أن بلغت ألفي مجلد تقريبا . فأمر الامبراطور جيوسنتيان بتلخيصها فقها وتشريعا وجمعت في أربع مجموعات في النصف الاول من القرن السادس . وكان وما زال أهمها المجموعة التجميعية في تقرير الاصول القانونية وهي مجموعة الديجست أو الباندكت عبارة ما أخرجه أدمغة مشترعى الرومان مدة عشرة قرون . أربعة قبل الميلاد وستة بعد الميلاد وقد أصبحت هدى الشعوب المجاورة حتى قال عنها المقترع هرونج « الإلماني ان القانون الروماني أصبح عندهم الإلزام من عناصر المدينة

وقد عنيت به درسا وتحليلا الأهم الأوربية في القرون الوسطى وعلى الأخص سلسلة بولونيا في القرن الحادى عشر وأطلق على أساتذتها الفارحون اسم جماعة الجادحين أو أسجابه الخرافى

وعلى رأسهم العالم الإيطالي « اينريوس » وجاء بعده الشارحون الاربعة المعروفون ودون التكني
أبحاثهم في مجموعة عرفت بمجموعة « آكوس » . ثم أعقبهم الشارحون لشارحين السابقين وظهروا
في ايطاليا وفرنسا وألمانيا . ولعل أشهرهم للإيطالي « بارتول » الذي كان له القيدح المثل في التحليل
والشرح . وفي القرن السادس عشر نبغ في القانون الروماني من حيث الشرح والتحليل وتعب
المصادر عدد غير قليل من العلماء في ايطاليا وهولندا وفرنسا . وعرف في هذه الاخيرة على الاخص
الالماني « دوما » و « بواتيه » الذي طبقت شهرته الآفاق العلمية والاداساط القانونية حتى اعتبر
مصدرا للقوانين الفرنسية الموضوعة سنة ١٨٠٤ وأخصها القانون المدني . وفي ألمانيا نبغ في
القانون الروماني من الناحية التاريخية والفلسفية وذلك في القرن التاسع عشر المالماني الشهير
« سافيني » و « اهرنج »

* * *

وفي الوقت الذي بلغ فيه الفقه الروماني والتشريع الروماني هذا المبلغ العظيم — وهو القرن
السادس بعد الميلاد — لما يظهر بعد التشريع الاسلامي ولما تظهر العلوم الفقهية الاسلامية . وزيد
هنا بصارة الاصول الفقهية الاحكام القانونية والمبادئ الاصلية الخاصة فقط بالمعاملات وتنظيم
علاقات الافراد بعضهم بعض أو علاقاتهم بالحكومات . ان أي بحثنا مقصور على غير ما يتناوله
البحث الديني البحث

ويظهر لنا من استقراء التاريخ أن الاصول العلمية الفقهية والاحكام التشريعية الاسلامية لم
تظهر ظهورا جليا . حينما الا في العصر المسمى بالعصر العلمي الذي بدأ بظهور الدولة العباسية . حوالي
أوائل القرن الثامن الميلادي (سنة ١٣٢ هـ ٧١٣ م) حيث ظهر الائمة الاربعة وراجت مذاهبهم
وأذاعها للاميذهم ومريدوم وآخر المذاهب الاربعة مذهب الامام حنبل اذ ظهر في أوائل القرن
التاسع الميلادي

وفتح العرب مصر . وكانت مصر قبل دخولهم مسووسة بالاصول القانونية الرومانية . وبدخول
العرب زال التشريع الروماني . وحل محله التشريع الاسلامي وأخذ فيها على الاخص بمذهب الامام
الشافعي . ثم بمذهب الاسماعيلية . وأخيرا سادت المذاهب الاربعة في القرن الميلادي الثالث عشر
في عهد الظاهر بيبرس (سنة ١٢٤٤ م)

ولما دخل المماليك مصر حملوا معهم القوانين التتارية وفي ظليتها مجموعة الاحكام التي وضعها

ملك التتار جتكرخان وهى المعروفة عند المصريين في ذلك العهد بالسياسة واسمها الحقيقى الياسه على
 انهم أبقوا العمل بالشريعة الاسلاميه بجانب القوانين التتارية
 ولما فتح العثمانيون مصر سنة ١٥١٦ م أخذوا فى تطبيق الاحكام الشرعية الاسلاميه واعتبروا
 مذهب الامام أبى حنيفة المذهب الرسمى
 ولما دخل الفرنسيون مصر فى حملتهم المعروفة أحدثوا انقلابا خاصا فى النظم المألوفة ولسكنهم
 عادوا فأخذوا بنظام القاضى الشرعى من حيث تحديد دائرة اختصاصه
 وفى عهد محمد على ذاعت أحكام الشريعة الاسلاميه ووضعت قوانين أخرى بجانبها كانت تدعو
 اليها حالة تطور البلاد وأخيرا وضعت القوانين المختلطة سنة ١٨٧٥ أخذوا عن القوانين الفرنسية
 ووضعت القوانين الاهلية سنة ١٨٨٣ أخذوا عن القوانين المختلطة مع بعض التعديل عن القانون
 الايطالى فى المرافعات

جوستيتيان



نشوء الحضارة

للاستاذ احمد زكى بدوى

إن تاريخ الانسان الاول هو صورة لنضاله الدائم مع البيئة لاشباع حاجاته . وليس التقدم المادى إلا نتيجة جهود الانسان لتذليل العقبات الطبيعية التى تقابله . فلنحاول الآن استعراض هذه الجهود

كان الانسان الاول يعيش كما تعيش القردة . فلم تكن ملابسه إلا الجلود وفراء الحيوانات ، ومسكنه تحت أغصان الاشجار والكهوف . كانت حاجته الأولى الحصول على الطعام . وأبسط الطرق الموصلة إلى اشباع هذه الحاجة هى جمع الأطعمة فى الأماكن التى تتوافر فيها النباتات المختلفة أو صيد الاسماك على السواحل . وكذا صيد بعض الحيوانات البرية . وكان ذلك يستدعى مهارة عظيمة واستعمال الحيلة ، ومعرفة طباع الحيوان المراد صيده ومواقع نومه . وعلى توالى الزمن تعلم الانسان تدجين بعض أنواع الحيوان وكان الحصان والكلب أهمها فاستخدمهما فى الصيد

إن حاجة الانسان الثانية هى الدفاع عن نفسه وقد اخترع لذلك كثيراً من الأدوات الحجرية شبيهة بمخالب وقرون الحيوانات ولذلك سُمى الانسان « الحيوان المستخدم للآلات » تمييزاً له عن باقى الحيوانات . وهذه التسمية ذات قيمة لأنها تميز الانسان الفطرى بسيفه وباطته عن النور بقروونه والدب بأسنانه



احمد زكى بدوى

إذا أردنا أن نحدد معنى الحضارة أمكننا أن نعى بها كل الأدوات التى نستعين بها فى الوجود والتى تمكن بها من مكافحة الوسط الطبيعى الذى نعيش فيه . وليست سهام المتوحشين الخشبية أو القوارب المصنوعة من قشور الشجر أو الاسقف المصنوعة من الاغصان أو حيل المتوحشين الاولى - ليس كل ذلك إلا أطواراً من الاطوار الأولى لنشوء الحضارة

كانت أقدم الآلات التى تركها الانسان مصنوعة من الصخور الصلبة كالصوان مهذبة تهنئياً بسيطاً

لتقوم بأغراضه البسيطة كالصيد والدفاع عن النفس وقطع الاشجار وهلم جرا . على أنه كان يدأب دائما في تحسين هذه الآلات كلما ارتقى في سلم الحضارة وكان يساعده على هذا التحسين نموه العقلي المتزايد . فكانت الآلات الحجرية تزداد اتقاناً مع مضي الزمن حتى صارت آلات نافعة وثيقة . ولم يقف نموه العقلي عند ذلك فسرعان ما اكتشف سرّاً كان له أكبر الاثر في حياته ذلك هو فن استنباط الفلزات من خاماتها المعدنية الاولى . وقد يكون وقوفه على سر هذا الفن قد جاء عن طريق المصادفة على أنه على كل حال عرف كيف يستفيد منه فلجأ إلى صناعة آلاته من البرونز الذي هو مزيج من النحاس والصفير . ومن ذلك العهد كان تقدم الانسان بخطى واسعة حتى وصل إلى بدء عصوره التاريخية المعروفة

ان اكتشاف سر استخراج الفلزات من المعادن كان يرجع إلى اكتشاف طريقة الحصول على النار . وبلغ من أهمية النار ان عبدها الانسان في العصور الأولى وألّه قوتها ، مع أنه استخدم هذه القوة . لذلك كانت عبادة النار عامة عند معظم الشعوب الأولى وعند الآريين خاصة فقد كانت عندهم عنصر الحياة ينبث في الوجود ظاهراً وخفية ويحمي كل شيء

ساعدت النار على تحويل المعادن واستخدامها ، فأخذت الحضارة في الرقي الحقيقي . لأن قوة المعدن سهلت صعوبة معالجة مواد الصناعة . فالفجرة التي لم تكن تقطع بالقاس الحجرية الا في أيام تقطعها القاس المعدنية في ساعات والقارب الذي كان ينقر بأحجار الصوان في شهور ، تنقره الآلات المعدنية في أيام

كان الرجل في أول الأمر يضع لنفسه ولاسمرته السلاح الساذج والملابس والكوخ والقارب وغيرها . فلما اتسع نطاق الاسرة وتكونت القبائل ، شرع الرجال يتبادلون معنوياتهم . فتولد من هذا تقسيم العمل . وأدى هذا التقسيم الى اتقان الصناعات بسرعة لأن كل صانع أخذ يتخصص في نوع واحد من السلم ويعمل على تحسينه وزيادة المصنوع منه ثم أخذ عنه أولاده الصناعة فرسختها فيهم العادة والورثة ومن هنا ترقى الصناعة

بعد أن ظل الانسان يعيش احقاباً طويلة على جمع الطعام والصيد انتقل إلى دور الزراعة ولكننا نجعل ابتداء وكيفية نشوء هذا الدور وأغلب ماوصل لنا عنه هو القصص الميثولوجية التي ترجع نشوء الزراعة إلى أصول دينية . كانت معرفة الانسان للزراعة من أهم عوامل رقي الحضارة . لأن الزراعة اقتضت إقامة الانسان بمكان واحد لا يتحول عنه ، وتستدعي الإقامة السكن في كوخ أو غيره ، فلبثت صناعة البناء ثم صار استئناس الحيوان — الذي كان يحدث إتقاناً وقت الصيد — تدريجياً

دائماً ، فمرفت صناعات الألبان والاصواف والاوير . وعرف الانسان من اللبن فوائد الخيرة فاستعملها في خبزه . واقتضت الزراعة توقفتا محكما . فاضطر الانسان إلى البحث في دورة الفصول بدلا من التوقيت القمري . لأنه لم يعد ينفعه في الزراعة فتوصل إلى معرفة السنة الشمسية وقليل من علم الهيئة

كان الانسان الفطرى متصلا تقريبا بالملكة الحيوانية ، بينما كانت المرأة متصلة بالملكة النباتية فالرجل يشتغل بالحرب والصيد والقنص وتربية الحيوانات . بينما تبذر المرأة البذور وتجمع الانماح ورغم اشتراكهما في محصول عملهما فان كلا منهما كان يعمل بعيدا عن الآخر . وأتى حين اجتمع فيه عمل الرجل كزراع بعمل المرأة كزراعة ، عندما أخذ الرجل يستخدم البقرة أو النور ليجر المحراث . وأخذت المرأة تعتنى بالأغنام . وهنا تقدمت الزراعة . وأصبحت الاسرة خاضعة لنظام تعاونى في الانتاج يعمل كل أعضائه متضامنين تحت سلطة الزوج . وأخذت الاسرة تنتج كل ما تحتاج اليه وكان كل فرد قادراً تقريبا على القيام بجميع الاعمال الضرورية لذلك كان التبادل منعما فيها . ولكنه كان موجوداً بين القبائل التى تتنوع مواردها أى بين التى تعيش متلا على الرعى والتى لاتعرف غير الصيد مورداً لغذائها . وهنا يحدث تقارب بين هذه القبائل فيتم تبادل المحاصيل بطريقة فطرية

إن حياة الانسان الاقتصادية هى الدمامة التى قامت عليها نظمته الاجتماعية المختلفة وقد نشأت كلها من أصول ساذجة ، إلا أن معرفة هذه الاصول تقتضى الامام بنظريات عديدة ويرجع ذلك إلى أن أغلب علماء الانسان لم يدرسوا الجماعات الفطرية فى بيئة واحدة بل فى عدة بيئات كأواسط افريقيا واستراليا وبعض جزائر المحيط الهندي . وطبيعى أن الجماعات التى عاشت فى هذه الاماكن خضعت لظروف بيئتها الخاصة . فكان من ذلك اختلاف نظمها والذى كان من أثره اختلاف نظريات العلماء عن نشوء النظم الاجتماعية عامة . إلا أن أكثر هذه النظم شيوعاً وأقربها للتاريخ والواقع هو نظام الطوطمية

العشيرة الطوطمية هى جماعة تتبع نظاما دينيا يفرض مجموعة طقوس معينة تسمى الطابو ، ويأتى ارتباطها من أن أفرادها يحملون طوطما واحداً وبعبارة أخرى اسما واحداً . وهم لذلك يعتبرون أنفسهم أقارب بعضهم لبعض . والطوطم مصدر هذه القرابة . وهو غالبا حيوان أو نبات تعتقد العشيرة أنها من سلالة ، فتجعل له رمزا واسما عامين . فاذا كان الطوطم ذكرا ، فان كل أفراد العشيرة يعتقدون أنهم من أصل ذكرب وعلى ذلك فتيهم خواص الذكرب

تقوم الاسرة فى ظلال هذا النظام على صلات طوطمية . وتؤدي واجبات اجتماعية ودئية

واقتصادية وسياسية بدلاً من الواجبات الأبوية . والموانع التي يفرضها النظام الطوطمي على الأسرة هي منع الزواج الداخلي وإباحة الزواج الخارجي . وذلك بأن يسي رجال العشيرة في حدود العرف نساء العشيرة المهاجرة لهم ، فيقوم رجال العشيرة التي سببت نساءها بمخطف نساء العشيرة الأولى وهكذا : لأن الزواج محرم من نساء القبيلة ومباح من نساء القبائل الأخرى . وينتسب الابن في حالة سبي المرأة لطوطم أبيه . أما إذا انتقل الرجل إلى عشيرة المرأة وظل بها ، فإن الانتساب هنا يكون لطوطم الأم .

يعتبر الطوطم أيضاً إله القبيلة أي موجدتها وحاميها . وهو مبدأ الجماعة الوحيد وقوة ارتباطها الدائمة . وروحها العظيمة . لذلك كان موضع عبادة بصورة ساذجة . عبد الطوطم لأنه يمثل القوة الاجتماعية الموروثة في الجماعة . فهو المكون للفرد الاجتماعي في العشيرة الأولى ، وهو من ناحية الجزء الخارجي المحسوس مانسبه المبدأ أو الإله فإذا كان رمز الجماعة والله في وقت واحد ، فذلك لأن الله والجماعة اعتبراً شيئاً واحداً . فكان إله العشيرة أو الطوطم هو العشيرة نفسها .

كان تأثير النظام الطوطمي عظيماً في جميع الروابط الاجتماعية . فلم يقتصر عمله على إيجاد الأسرة والدين بل أوجد القانون والأخلاق فساعد على جعل الإنسان القبطي يعيش في جماعات منظمة يندس فيها القتل والسرقة ، بعيدة عن القوضي والفساد .

كان القتال يعتبر نجساً محرم على سائر أفراد القبيلة النظر إليه ، ولن يغتفر ذنبه إلا إذا قام ببعض الطقوس الطوطمية بأن يضحي مثلاً بحيوان لروح المقتول ، ويظهر جسمه بدمه . كان الإنسان يعتقد أيضاً أن الطوطم يعطيه بعض القوة السحرية التي يمكنه أن يعتمد عليها في الاحتفاظ بملكاته الشخصية فيقوم ببعض الطقوس التي يظن أنها تجعل للشئ المراد الاحتفاظ به قوة سحرية يصبح بها خطراً على أي شخص يمسّه خلاف صاحبه . فأثن الممتلكات تترك لمدة ما في حماية هذه الطقوس عند غياب صاحبها . فإذا رغب إنسان في حفظ ملابسه أو منزله أو آثاره فما عليه إلا أن يجري طقوس الطوطم عليها ، وبذلك تصبح في أمان ، لأنه وضع طوطمه عليها ، وذلك في نظره كاف بأن يحمل الأمانة لسكل من يقتربها . أي يصاب بالمرض أو الموت .

كان للنظام الطوطمي أثر بين في خدمة الجفازة وتقديمه . فهو أصل التعاون بين أفراد الجماعة والدافع على تصحيتهم بالمنفعة الشخصية في سبيل منفعة الجميع . فنفذ هذا النظام من عدة خرافات تمت تدريجياً ثم أعطاها طمع الرؤساء والسحرة بعد ذلك أسامعاً صناعاً . وفي خدمة قضية البخل والطمع خدمت الخرافات قنينة المدنية فقد أوجد هذا النظام عقدة الزواج وبذرة الدين وقبسية

الحياة البشرية وحقوق الملكية . وبمرور الزمن نمت الافكار وأصبحت قاذرة على الوقوف بنفسها وطرحت سندها المكون من الخرافات التي كانت عمادها الوحيد في الازمنة الاولى . فاختفت الروابط الطوطمية وانتقلت العشار الى نظام التوطن ، وتغيرت وظيفة رئيس العشيرة القبلية إلى وظيفة سياسية ولما تقدمت العشار اقتصاديا ونمت الثروات وصلت إلى نظام الدولة ، ووجدت الحكمة فاصبحت الادارة التي تتولى بها الدولة مهنتها

لننتقل الآن إلى التحدث عن اللغة والدين وهذان ^١ انهما في الواقع أحد أصول وثمرات الحضارة . فاللغة كانت أحد عوامل تكوين الامم . ثم كان فيها بعد دليلا على رقي الامة . وكذلك كان الدين أحد وسائل التعبير عن شخصية الجماعة وكان رقيه في نفس الوقت دليلا على رقي الذوق الاجتماعي

الكلام هو الحد الفاصل بين الانسان والحيوان ، وقد استخدم الانسان في تطوره عدة طرق للمخاطبة بالاشارة والصياح والتكلم ثم الرسم وأخيرا الكتابة

كانت الالفاظ الاولى بسيطة لاتعتمد على بعض أمثال وقليلا من الاسماء مـونة من مقطع واحد ولغة الاطفال أكبر دليل على قدرة الانسان القديم على نطق كلمات من عدة مقاطع ، ولما استعملت الكلمات الغرامطيقية أو النحوية ساعدت على تكوين اللغة ذات المقاطع ، وبلاشتقاق ابداع الانسان من الكلمات التي تدل على الافكار السهلة الواضحة كلمات تدل على أفكار مركبة عويصة ، وكان ذلك أعظم طريق سار فيه الانسان من الجهل إلى المعرفة

كانت الكتابة في أول أمرها تمثيلا لأطراف الاشياء ثم اختصرت الخطوط فانتخبت صوراً قريبة من أصولها قريبا ، وهذا هو دور تصوير العسكرة . وتلاه دور تصوير الصوت وذلك لما تغلبت العلامة المميزة لصوت الكلمة على مدلولها في الاعتبار والدور الاخير هو دور التصوير بالأحرف وذلك لما حللت الاصوات إلى عناصرها الأولية وأشير إلى كل عنصر منها بعلامة ومن تركيب هذه العلامات أو الحروف تألفت الكلمات

واللغة هي البذرة في الثقافة . والثقافة هي النتائج الحى لتفاعل عقل على آخر ومحصول الافكار والمشاريع ونواحي النشاط المشتركة بين العقليين . وبدون العمل لاتكون هناك ثقافة ولا تقدم في الذكاء . لذلك كانت الثقافة ضمن التقاليد الاجتماعية التي اعتادها الانسان ببطء وثبات وانتشارها جعلت الانسان يمتاز على بقية المخلوقات

نشأ الفن من أصول سحرية ، فكان الانسان يقوم بالتصوير معتقداً أن قوة الصورة تعطى

قوة للواقع . فلكي يكون العيد ناجحا كان الانسان يكرر رسم الحيوان الذي يريد صيده ظنا منه بان ذلك يؤدي إلى وفرة الحيوان ، أو يرسمه هالكا أمامه معتقدا أن ذلك يتحقق في العيد وكذلك نفا الثنعت من أصول دينية . فكانت تصنع تماثيل الآلهة وأوثان الاسلاف على شكل خشن . لم تكن رموزاً إنما كانت الاثواب أو المساكن التي تنقسم فيها الارواح . لان الروح قد تحمل بأي مكان وفقا لرغبتها . في النبات أو الحيوان أو الحجر . لذلك مثلت ارواح الاسلاف في صور ساذجة لتعكس خواصهم بصفة رمزية . وعلى توالي الزمن وجد الانسان لذة نفسية في أعماله التقليدية فاعجب بها لاتقان صنعها وجمال شكلها ومن ثم أخذ الفن يتخلص من الصنعة والدين

وقد نشأ الشعر ايضا من الدين ، فكانت قصص الابطال الاولى قصصا شعرية تطورت إلى ميثولوجيات دينية . وكذا نشأت الدراما من فكرة التقمص ، أي حلول روح انسان أو حيوان في جسم الانسان ، فتسكلم وتعمل خلاله . ولذلك صنعت الاشكال الاولى للاقنعة ليلبسها الانسان ، فيقوم بدور الحيوانات المختلفة حقيقية أو خيالية

كان لطقوس العبادات الدينية الاولى مظهر فني ، فكان القداس الذي يقام للآلهة تزل فيه حياة الآلهة والادوار المختلفة التي تقوم فيها . وكان الكهنة يقلدون الحالات الموصوفة . وعندما ينتهي القداس يعتقد المحتفلون أن روح الاله ستضعف فيهم



عقيدة الألوهية

للككتور ا. زكي ابو شادي

ان التعليم الطبي يؤدي حتما الى شيء من الصراع مع الدين . وقد لحظت منذ نشأني ان كثيرين من الاطباء تزعزع عقائدهم الدينية ثم يزعزع نهائيا ايمانهم الالهي . ومنهم من يدعي التوفيق بين العلم والدين ، ولكن اختبار دعواهم يظهر عجزهم عن هذا التوفيق ، وما سبب ذلك الا ضعف ايمانهم الفطري وسطحية نظراتهم وفقدان الشجاعة الكافية لاجتاد هذا التوفيق المشهود ، مادام الدين ظاهرة اجتماعية كاثمة فعلا وواجبة التقدير

وقد كان شأني شأن الجندي الجريء الذي يحد الصفوف قد افتقدت الرائد فيتطوع مندفعاً للقيام بهذه المهمة التي ربما لم يكن كفؤاً لها ، ولكن غيرته القطرية تزجيه وشجاعته تسنده . وكنت أجد تشجيعاً غير قليل من أستاذي المرحوم السيد محمد رشيد رضا الذي كنت أكتبه وأكتب مجلته « المنار » حتى إبان إقامتي في إنجلترا . وكان هذا الامام الجليل يشجعي دائماً وان خالف آرائي مرات ، ولكنه كان يعني بجوهر سعيي للتوفيق الصحيح بين العلم والدين في شجاعة لا تنافي الرشد والازنان

وسأجمل حديثي الآن متناولاً مسألة المسائل الدينية والصوفية ألا وهي : « عقيدة الألوهية » فأقول انه لولا ايماني بها لما تمحست متطوعاً هذه السنين الطويلة للاشادة بها وتفسيرها قدر طاقتي ولي هذه الابيات المعنوية « العطف الالهي » من ديوان « الشفق الباقي » فهي من اعترافاتي الوجدانية الصريحة :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| وأحس أني في اندماج دائم | بالكون، والكون العظيم حيا |
| أتأمل الساعات في أجرامه | وكأنني متأمل مرآتي |
| وأنا عطفاً من جبل حنانه | يسرى الي روحي بغير فوات |
| حسّ خفي لست أدرك كنهه | وكأنما هو معجز الآيات |
| بلغت الضمير ، وكان خير مؤذن | بالله في ملكوته الحياني |

وهذا الاحساس هو من دوافع شغفي بعلم الفلك وترددى على الراصد ، لاني أجد في ذلك عبادة صوفية واستغراقا في معاني الالوهية . ولولا هذا الاحساس لما تأملت وفسرت ، فالشعور الديني ليس عقليا فحسب بل لابد له من استعداد وجداني ، وهذا التأمل الصوفي هو ما نمته الغزالي بالنظر الى وجه الله

* * *

إن فلسفة عقيدة الالوهية في نظري مردها الى نتيجة إحساس الجزء بالكل ، وسأخوض على لغتي الصوفية فلن أجد غيرها مسعفا في هذا المقام

وإذا توسعنا في هذه النظرة فيخيل الى أن تمجيد الابطال متفرع عنها أو هو صورة منها ، لأن البطولة شمول وعظمة بحيث أن البطل في نظر مقدره — ان لم أقل عابديه — هو رمز للقدره الغلابة الفائقة ، وبعبارة أخرى أنه رمز الشمول . ولذلك نجد تمجيد الابطال الوطنيين والدينيين وغيرهم يكاد يبلغ عن غير وعي مرتبة التأليه ، خصوصا اذا كان البطل ميتا ، حتى ربط بعض الباحثين المتعمقين مثل جرانت ألن والاستاذ هالدين نشوء الآلهة عند الوثنيين وظهور القديسين عند غيرهم بعبادة الموتى . ومن العجيب أن النفس البشرية شديدة الميل الى تفديس الموتى والانحراف بذلك انحرافا عظيما عن جادة التوحيد ونزع الدماء من المسلمين بالرغم من أصوله الصريحة الى تمجيد الاولياء تمجيда يخالف روح الاسلام ، مما ألجأ المصلحين أمثال محمد عبده ورشيد رضا والمرآغي وسوام الى محاربة هذه البدع التي تسكاد تؤدي الى الاضرار بالله

من هذا أنتقل الى التنبيه الى أن عقيدة الالوهية من الناحية الفلسفية العامة هي ظاهرة سيكولوجية ، هي احساس الجزء بالكل ، وهي تتدرج تحت اسماء مختلفة من شعور الانسان نحو وطنه ونحو زعيمه ونحو الانسانيه مثلا الى شعوره نحو الكون بأسره ونحو الالوهية الشاملة والمطابقة

واذن فعقيدة الالوهية عند معتقبيها ليست وهما حتى ولو كان تفسيرها عند بعضهم وهما ، فالاحساس بالالوهية قد يكون واحدا « وان تدرج » عند أصحاب الديانات المختلفة من متدينين وهمجيين لأنها ظاهرة سيكولوجية مماثلة المنشأ ولكن تفسيرها يختلف بينهم جد الاختلاف ولو كانوا جميعا محاضرين في إيمانهم

يقول الاستاذ برنجل باتيسون في كتابه « فكرة الله في ضوء الفلسفة الحديثة »
 ان احساسنا بهذه الفكرة دليل على وجود الله ، وهو يعتمد في تدليله على ظهور الغرض في
 النشوء ، وفي رأبي العاجز أن هذا التدليل ليس قوياً وان جاء من أستاذ الفلسفة في جامعة أدنبره ،
 وكان الاول به أن الاحساس باللاهوتية عند أغلبية الناس دليل على فطرية هذا الاحساس وانه على
 تنكيف هذا الاحساس تنكيف معاني اللاهوتية التي تختلف جد الاختلاف حسب ثقافة الناس
 وطبائعهم ومؤهلاتهم وبيئاتهم

وهذا الاستاذ سورلي أستاذ الفلسفة الخلقية في جامعة كيمبردج يرى أن يقرن فكرة اللاهوتية
 بالمثالية الخيرية للوجود (راجع كتابه القيم الخلقية وفكرة الله) كما ان الاستاذ أ. ن. ألكسندر
 يرى ان اللاهوتية هي مثالية سائرة الى السكالم ١

ومثل هذه النظرات الفكرية لمعاني اللاهوتية لا تتمشى مع معظم الديانات السائدة التي تنزه الله
 سبحانه وتعالى عن ايمان الاستاذ ألكسندر على الأقل ، ولكننا مع هذا ليس لنا ان ننكر
 في حد ذاته قد لا يقل في حرارته عن ايمان مخالفه

ان ما يعينني هنا هو أولاً التلخيص لأحدث الآراء الفلسفية اللاهوتية ثم التطبيق عليها
 بأرائي الخاصة التي تؤيد أن الايمان بالله يتمشى مع العلم ، على اعتبار انه ليس سليل النوم أو الجهل
 او الفلسفه الخاطئة

لهذا لن اذهب بعيداً الى فلسفة أرسطو وما بنى عليها من التدليل على وجود الخالق في عا
 السكتاكة خاصة ، فلن يقبل العلم ولا الفلسفه الحديثه شيئاً من ذلك . وحتى في القرن السادس عشر
 لم تعدم انجلترا جمعية للعقلين بين اعضائها كرسطوفر مارلو وولتر رالي ، وقد رفضت الترويج لتلك
 الآراء السطحية وان اتسمت بسمه الفلسفه

وكان لدراسات جون لوك في سنة ١٦٧٢ للذهن الانساني مافضى على الآراء القديمه اللاهوتيه
 سواء استمدت فلسفتها من أرسطو ام افلاطون . وقد انتهت ابحاث لوك الى انه لا توجد فكرة في
 الذهن الانساني الا وكانت مكيفة من الوسائل التي تدلى بها المشاعر الانسانيه . وجاء هيوم فعزز
 اللاأدريين ثم جون ستيوارت مل فلم يحكم بالمعرفة الا المشاعر وحدها ثم سبنسر فصرح بأن
 القوة الاساسية للعالم غير معروفة ولا يمكن معرفتها

وقد آنحفت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » قراء العربية بترجمة كتابين نفيسين أحدهما « عرض تاريخي للفلسفة والعلم » تأليف أ. وولف استاذ المنطق بجامعة لندن ، والآخر « فلسفة المحدثين والمعاصرين » للمؤلف نفسه ، ففي وسع كل منا تصفحهما وتصفح أمثالهما للوقوف على تفصيل ما اجمله في هذا المقام

ومن الضروري الإشارة الى ظهور طائفة من الفلاسفة المؤمنين بين الانجليز ، وهم تلامذة الفلاسفة الالمان أمثال كانت ونغث وشلنج وهيجل وشوبنهاور وهارتمان ولونز ، ولكن آراءهم لم تصمد أمام التقدم الفلسفي العالمي وإن بقيت الآن بعض آراء لسكانت وهيجل ولونز في صورة متنوعة . وأهم هؤلاء الاعلام بلا جدال هو كانت وقد كان — على حد تعبير الاستاذ وولف — شديد الاحترام للنتائج التي وصل اليها العلم الطبيعي بحيث لم يستطع رفض كل ما تذهب اليه تلك النتائج على الوجه الذي يدعو اليه مذهب هيوم التشككي الذي كان يقول انه كلما تعمق فيما يسميه نفسه مخبط وتعثّر في بعض الاحساسات ولم يستطع أن يقبض على نفسه أبداً ، وكان يعتبر كل ما يبدو حقيقياً مجموعاً متعدد من التأثيرات المتقطعة التي يكسبها تداعي المعاني مظهر الحوادث للسلسلة . ويخيل لنا أن مادتها ثابتة لخطئنا في الظن بأن التأثيرات الماثلة لتأثيرات سابقة هي بعينها ، وكل ما يوثق به هو تيار التجارب المتغيرة حتى الرياضيات نفسها ليست يقينية وأقصى ما يمكن افتراضه لشيء هو الاحتمال . كان الفلاسفة المؤمنون في العصور السابقة يعززون في التدليل على الالوهية بالطبيعة نفسها وبمظاهر الدنيا في ذاتها ، فعندهم أن الاسباب الثانوية تدل على السبب الاول ، وأن النظام السكوني يدل على العقل الغير المحدود ، وأن الجمال في العالم يشير الى الروح الاعلى . ولكن كانت قضى على هذا الطراز من المنطق وأحل في موضعه طرازاً من التعطلل العلمي مقسماً معارفنا جميعها الى موضوعية وذاتية في عناصرها

وينوه الاستاذ وولف بحجة الطريقة التي اتبعها كانت دفاعاً عن العلم ، وهي طريقة « التجريد » التي كانت تطوراً بيناً للمذاهب القديمة عن « الافكار العامة » و« الحقائق الخالدة » و « الآراء المستكنة » ، فقد كان كانت يرى أن موضوعات العلم نتيجة لعاملين : الاشياء المحسوسة وهي مستقلة عن العقل ، وبعض صور وارتباطات يقدمها العقل . وهذه الصور الآتية عن الالهام كالزمان والمكان والعلاقات والقولات المكبرية (كالجوهر وعوارضه ، والملة والآخر الخ) هي أوليات سابقة من حيث أنها لا تكتسب بالتجربة إذ التجربة نفسها تستحيل بغيرها . ومن جهة

أخرى نحمد مادة الحس لاحقة أي أنها نجمة فقط عن طريق التجربة وإن تكن لاتأتى على ما هي عليه بالفعل بل متغيرة بالصور والمقولات السابقة ولا تصل المعرفة البشرية الى حقيقة الاشياء نفسها بل الى مظاهرها ، واستخدام الصور والمقولات الأولية في كل مايقع في دائرة التجارب البشرية حق مبرر بل هو في الواقع أمر لا مفر منه ، ولكنها يجب ألا تطبق على مايتجاوز تلك التجارب ، فالله والحياة الآخرة مثلا أبعد من متناول التجارب الانسانية ، واذن فلا يمكن أن يكونا موضعاً للمناقشة ، فهما لا يمكن إثباتهما ولا نفيهما ، ولا يمكن الايمان بهما على أنهما من الاعتقادات التي تقوم على أسس نظرية بل على أسس عملية . وعلى هذه الاعتبارات العملية بنى كانت الاعتقاد بوجود الله وحرية الاختيار والخلود . فهذه الاعتقادات مسلمات ننحها أصول السلوك العملي المطلق ، كما أن الوجود الحقيقي لعالم الاشياء على صورة ما من المسلمات التي نحتما النتائج النظرية لعلوم

ولكن هذا التدخل العملي الذي قدمه كانت لم يؤثر الا على قليلين لان أساسه العلمي ضعيف بخلاف نقده لتعقل الخالص فقد كان له أثر بليغ على الافكار في القرن التاسع عشر ، وهكذا اضمحلت آراؤه كما اضمحلت آراءه سابقيه ممن لم تصمد تعاليمهم لتتطور العلمي وحقائق البحث النفساني

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولابد لنا من وقفة أمام ألمعية الفيلسوف الألماني هيجل الذي تأثر به أمثال بوسانجكيه وكروثشي ، فقد انتهى هيجل من تأملاته الفلسفية الى أن العقل والطبيعة المادية هما « المطلق » بذاته لا مجرد مظاهر أو دلائل علي مطلق مجهول ، وفوق ذلك فليس العقل والمادة حقيقتين متميزتين ولكنهما عنصران تتكون منهما عملية افصاح المطلق عن نفسه ، وبعبارة أخرى ان الفكر والحقيقة شيء واحد ، وليس شيء غير حقيقه واحدة هي ما يدعواها « المطلق » وإن هذه الحقيقه الروحيه هي مرادف « الألوهية »

ومع كل هذه التفاسير الفلسفية أخذ الشك أو الاحاد يطرد لان المتعلمين لا يعينهم أقل من الايمان بأن خلف هندسة الوجود عقلا الهيا منظما ضابطا ، وعلى وجه هذه الطبيعة المسحة الالهية البارة . فإذا لم يوقنوا بذلك انتنى ايمانهم حتما

وازدادت العلوم تقدما فازداد الايمان تضائلا بين المتعلمين ، لان التعليل العلمي للألوهية أخذ ينهزم ، واكتفى الفلاسفون بالكلام عن « الحاسة الدينية » كبرهان وجداني على وجود الله

وما يدعون بذلك الامزج العاطفة بالعقيدة الموروثة ، وما كانت العاطفة في اعتبار السيكولوجية برهاناً إيجابياً على وجود الشيء

أما في أمريكا ففلاسفتها الذين يعنون بالديانات يصرون بأن العقيدة الالهية ليست عنصراً ضرورياً من الدين ، وأما بتصويرها مطابقة لثالثية أو لفكرة مجردة أو لروح مبهمه للعالم (راجع كتاب الفلسفة الأمريكية المعاصرة في مجلدين ومؤلفات جوزيف ما كابي) . وأما في الفلسفة الانجليزية فلدينا الاستاذ تيلر يعلن بوضوح ان الفلاسفة المتدينين يرفضون الان في جلهم التعليل من نظام الوجود وجماله وقانونه وهندسته الطبيعية ويثرون الاهتمام بما ينعنون به « القيم » أو « الثالثيات » معتبرين هذه القيم جوهر الاشياء ، قائلين ان العقل في حالة خاصة من حالاته أشبه بحالة الصوفيين (أى بنوع من الكشف والشهود) يرى « الحقيقة » « والقيم » شيئاً واحداً . والانجاء الفلسفي الحديث عند هؤلاء أميل الى اعتبار « القيم العليا » عينية أكثر منها معاني نفسية أو عقلية ، ولو أن الفلاسفة مختلفون في تفسير معنى « العينية » التي توصف بها هذه « القيم » وأما فكرة الالهية الكلاسيكية فضائعة وسط هذا التفكير ضياعاً تاماً

وهذا الاستاذ كار في كتابه « الأرضية التنفيرة للدين والاخلاق » يدعى أن الرياضيين والطبيعيين يبحثونهم قد جعلوا من الضرب المزداد عسراً تعيين مكان الله في تنظيم الكون وهندسته ! أما الاستاذ برنجل باتيسون فقد أشرت الى وقوفه عكس هذا الموقف اذ يدل على وجود الله بمحض احساسنا بفكرة وجوده ، وعندى ان كلاهما مخطيء لان أساس بحثهما في ذلك وهمى على ما سأبينه بعد

وليس شك في أن عدد العلماء الذين يؤمنون بالالهية العرفية الآن أقل من عددهم منذ ربع قرن مضى ، وليس بينهم أحد من نوابغ العلماء المنتسبين للجيل - - - مثل جوليان هكسلى أو اينشتين ، فان هؤلاء ينظرون الى الالهية نظرة تصورية مثالية تخالف العرف تمام المخالفة كذلك لبس شك في أن أنصار الفلسفة المادية لم يقلوا في هذا القرن عدداً من أمثالهم في القرن الماضي ، وما رأى هيكلم في كتابه « لغز الوجود » الذى عززه بخبر عن ان المادة والطاقة هما واجهتان للمجهول لا مقدمة التنبؤ عن الحقائق الطبيعية التي كشفها القرن الحاضر والتي زادت الفلسفة المادية تمكينا وان لم تكن هذه الفلسفة مرتبطة بأية نظرية بالذات

وكثيرون من هؤلاء الماديين يرون ان التفاعلات الكونية لا تشع بوجود الله على الاطلاق

سواء من بداية السدم الى نشوء الكواكب الي بلوغ الانسانية منزلتها الحاضرة الممتلئة بالتناقض والمفاسد كما يعتقد اولئك الماديون

وقد نشأ عن سريان هذه الحركة قيام مثل الاستاذ هيدنيج (وهو فيلسوف ديمركي متشكك) بالدعوة منذ ريع قرن الى الاهتمام « بالقيم » بدل « الحقائق » ، وبعبارة أخرى انه يرى الاحتياط بالدين لصماته الخلقية والعاطفية وبذلك وضع فكرة الله في موضع ثانوي أو طرحها كلية وقد أشترت الى قيام فكرة « المثالية » أو « التصورية » في أمريكا مقام فكرة الله العرفية . وعلى هذا النحو ينحو وزوال الاستاذ ودز الذي يجهر بأنه يعد اللاهوتية مرادفة للروح الاجتماعي الممثل وهناك طائفة من الفلاسفة المحدثين أمثال الاستاذ امز والاستاذ أوفرستريت ترى أن الله هو صورة ملايين البشر وأنه كائن حي يمثل خير مافي البشرية . وعلى هذا القياس يمكننا بسهولة ان نوافق جوزيف ماركابي على قوله ان ثمة ما لا يقل عن عشرين الها مختلفا للاديان الفلسفية ، كما ان ثمة نظير هذا العدد للاديان الاخرى ١

وكما انه لا يخطر في بال أحد الآن في البيئات الثقافية العالية أن يستدل على وجود الله من مجرد وجود النظام أو العدل أو الجمال في الوجود ، فكذلك لا يحلم أحد بهذا الاستدلال من مجرد الاحساس الديني ، لان العقيدة الدينية مفروسة بحسب البيئة والوراثة وتزيدها العواطف حرارة وحساسة . كذلك لانحس البيئات العلمية بالحاجة الى العقيدة الالهية ، وتؤمن بأنه لو أغلقت أما كني العبادة عشر سنين مثلاً واختفى رجال الدين هذه المدة لما أحس بذلك أحد ، ولنشأ جيل جديد لا حاجة له بغير القوانين الحكيمة والنظم الاجتماعية المفيدة ، ولا هم له الا نشر العدل والاخاء والسعادة بين الناس ، ولما فكر أبداً في معنى الله بل لاستغرب لهذه الفكرة عندما تعرض عليه . والواقع انه حتى في هذا الجيل تأثت احصائيات الكنائس أن ثلثي من ينتسبون الي المسيحية هم عمليا بعيدون عنها ولا صلة لهم بأية كنيسة ، ومع هذا لا يمكن مطلقا لاي بحانة اجتماعي أن ينكر ان الانسانية الحاضرة سامية في أخلاقها وان كانت غير متمسكة بأديانها الموروثة وانما ينصب تمسكها على الاستفادة من تجارب الحياة التي تعتبرها مصدر الهبها الوحيد الجدير بالاحترام

يقول جواز زهوايت في كتابه « ديانة العقل الحر » ان الاداب جزء صميم من قصه النشوء ، حينما الديانة على العكس منشؤها الخوف . وقد ولدت في بداية التنبه الذاتي حينما بدأ الانسان بتجسي

كالامى فى تيه من الخرافات . وان الخوف من الخافى المجهول هو شعله جميع الاديان ، فاذا ما طرح الانسان هذا الخوف جانباً فان ذهنه حتماً ينق . ومثل هذا رأى نابعه عند الاستاذ هالدين فى كتابه « الحقيقة والعقيدة » كان لالدوس هكسلى فصلاً بليغاً فى كتابه « دراسات لائقه » عن « ابدال الديانات » أشار فيه الى انحطاط الدين فى الغرب والى قيام حركات وطنيه وسياسيه واجتماعيه وفنيه وغيرها استوعبت اهتمام الناس الى حد كبير أو صغير واقتربت بشئ من الطقوس التى أنفوها فى الحركات الدينيه فأشعبت مشاعرهم بدرجات مختلفه ، فلا غرابه بعد ذلك اذا اشتد انصراف الناس فى الغرب عن الديانات الموروثة وحتى عن العقيدة الالهيه فى ذاتها

* * *

لقد عرضت المامة عن اتجاه التفكير الحديث فى الغرب بشأن عقيدة الالهيه . أما رأى الشخصى فى هذا الموضوع فقد اسلفته من قبل وان يكن فى ايجاز ، وقد نشر فى رسالة لى بعنوان « مذهبي »

ولما كنت عميق الايمان باسم العقيدة فاني بكل ارتياح لبيت الدعوة للافاضة بهذا الحديث وزيادة البيان عن دخيلة نفسى ازاء هذه التيارات المتضاربة
 وانى أكر أن الشعور بالالهيه فى اعتباري ليس مسألة خوف او جهل على ما يرى بعض المفكرين الغربيين بل هى مسألة فطريه سيكولوجيه مبنيهاً احساس الجزء بالكل ، وحمل نحن فى المعنى التصوفى الابناء الله ؟ ولولا هذا الاحساس لما قال الحلاج كلمته المشهورة التى اودت بحياته ، لان بيئته لم تهملها فأساءت تأويلها وجنت عليه شر جنانية

اما عقيدة الالهيه الخاطئة فى بعض الاديان فقد تكون ناجمة عن خوف او جهل ، ولكن لاشأن لى بمثل ذلك ، اذا ما تكلم عن الاحساس الاصيل لاعن التقليد الموروث ويطلب لى تكرار الاشارة فى حديثى ومحاضراتى الفلسفيه الدينيه الى آية الكرسي الممدودة من جواهر القرآن الشريف ، فان هذه الآيه الكريمة فى نظرى مفتاح التصوف الاسلامى وباب الالهيه الحقه ، ولو ان الاسلام تقليدياً ممدود بمعزل عن التصوف . ولكن هذه الآيه تملأنى احساساً بوحدة الوجود ، واعتقاداً تاماً بأن الاسلام لا يفصل بين الله والعالم كما تفعل بعض الاديان ، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يتكشف ويتصوف معتزلاً فى جبل حراء عابداً لله فى ملكوته

فالعقيدة الالهية في ضوء الاسلام لا تخالف العلم السليم ولا الاحساس النفساني النقي ، وهي بميده كل البعد عن الخوف أو الخرافة أو الجهل لأنها تقوم علي ركنين أولهما الاحساس الصوفي الفطري: احساس الجزء بالكل ، وثانيهما وحدة الوجود التي تشع عليها آية الكرسي فتظهرها لنا بكل وضوح . ومن الآيات القرآنية التي ينبع منها التصوف قوله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله » « سورة البقرة آية ١١٥ » وقوله : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني » « سورة البقرة آية ١٨٦ » وقوله : « الله نور السموات والارض » « سورة النور آية ٣٥ »

فهل لنا نحن المسلمين بعد ذلك اى حاجة بذلك النقاش البيزنطى بين المعكرين الغريبين الذين تجاهلوا الاعتبارين السابقين وحصر واتفكيرهم في نواح بعينها ؟ ثم أليس فيما عرضه بعضهم من تفاسير مثالية ونحوها ما يندمج في الركنين السابقين الذكر ؟

ان تأملاتي ودراساتي الطويلة تجعلنى اعتقد أنه لا يمكن التخلّى في النفس البشرية عن عقيدة لالهية ، وانما من الجائز تحويل هذه العقيدة وقتياً أو تمويضيها « كما اشار الى ذلك ألدوس هكسلى » تحت تأثير الخبرة أو الضعف الاجتماعى أو نحوه . ولعل بهذا البيان قد اقنعت القارئ ان الإيمان الالهي لا يتعارض بأى حال وتفهيم قوانين الحياة واستلهاها لخير الانسان ، بل أرى ان الاسماء والصفات المنسوبة الى الله سبحانه وتعالى هي في الواقع رموز الى العوامل المختلفة التي اطلقها في هذا الوجود لتكييفه وتنظيمه بين هدم وبناء وتبديل وتحويل على قاعدة الاسباب والنتائج ، وكثير منها رموز لا يجوز ان نسمي تفسيرها . وغايرة « النبوة » ذاتها خاضعة للحقائق العلمية النفسية كما أوضح اذلك فيلسوف الاسلام الفارابي

ونحن اذ نتהל الى الله سبحانه وتعالى وإذ نصلى يجب أن نعلم أن الله جل شأنه ليس بحاجة الى شيء من ذلك ، فان الزهو صفة آدمية وليس صفة ربانية ، وانما نحن المستفيدون من الابتهال والصلاة لان في ذلك تقوية لمعنوياتنا واشعارنا لنفوسنا بالواجب علينا . وقد تعالى الله عن أن يبدل قوانين الوجود الدقيقة التي سنّها لنظامه البديع إكراماً لمخاطر أحدنا إذ معنى ذلك اضطراب الوجود بل خرابه ، وانما نتيجة الابتهال والصلاة تقوية إيماننا وتهذيب مشاعرنا وشحن تفكيرنا لما فيه الخير والصالح حسب نوااميس الوجود لاخلاقاً لها . وحتى مانسميه الحظ إنما يتبع قانون الأرجحية ، وكلما اتسع نطاق الكشف العلمى ازداد ايماننا بصيرة بمعاني الالهية السامية بقوانين الحياة ونظام

الوجود . كما أن الاشراق الصوفي و « لذة الانس بالله » ليس خلفهما سوى التأمل الكوني العميق وارهاف الاعصاب وتقوية الحدس ولا يمكن ادراك الله سبحانه وتعالى الا بالحدس الصوفي الذي يسنده العلم الفلسفي لا بالعلم ولا بالفلسفة وحدهما . وقد يساعد كل أولئك على قراءة الافكار وتقدير العواقب لا على مجرد التنبؤ بالمستقبل والكشف والالهام مما كان التوغل في التأله

كثيرا ماذكرت في أحاديثي الدينية أن الاسلام يستمد أساسيا على التقوى والعلم ، واذا كان اخواننا اليهود بالرغم من روحهم المحافظة لم يترددوا في تفسير التوراة تفسيرا علميا ، فما أحرانا نحن بذلك وهذا كتابنا يوحى بالتفكير والتأمل في كثير من آياته

وهذا القرآن الشريف في جميع أجزائه يتمشى مع العلم الصحيح لمن أراد أن يفهمه على هذا الوجه من ذوي الالباب ، وان فهمه العامة غالبا فيها آخر بالنسبة لموزة الدقيقة وذلك على قدر عقولهم . بل كذلك الكتاب المقدس قابل للتفسير العلمي الشامل . وقد وفق الى ذلك علماء الغرب اللاهوتيون توفيقا عظيما ، فغير معقول أن يكون القرآن الشريف دونه صلاحية لهذا التفسير الذي يجب أن يشمل كل شيء من عرفان صفات الله تعالى الى جميع الشؤون الانسانية . والمعرفة الصحيحة تأتي عن طريق البحث العلمي والتذوق لفلسفة الدين لأن طريق الاشراق وحده ولو كان صاحبه السهروردي . أقول هذا وأنا أعرف قدر التصوف كما أسلفت

ليس الاحساس بوجود الله دليلا على وجود الله كما يدعي الاستاذ برنجل بانيسون من ناحية المنطق ، كذلك ليس التدليل على أن لكل شيء صانعا ما يفتني بنا الى اثبات الخالق ، وان توهم ذلك كثيرون من المعلمين في تأليفهم المدرسية الفسدة لاذهان التلاميذ إذ لا بد لهذا المنطق الغريب من أن يؤدي الى سؤال كفرى عن الصانم نفسه ولاقيمة الآن لحجج أهل الظاهر الذين ظالموا ابتلى بهم ومجمودهم الحكماء والعلماء في سالف المصور

ان صفات الله المكشوفة لنا ليست جميع صفاته تعالى بل لعلها لا تتعدى صفات العوامل الكونية الضابطة للوجود باعتبار هذا الوجود كائنا دوريا ، ولظواهر الطبيعة جميعها وحقائقها متمشية مع تلك الصفات أو العوامل . والطريق العلمي المهد لتعريف الالهوية هو الطريق السيكلوجي لانه حقيقة واقعة فظربة ليست بأى حال نتيجة الوهم أو الجهل ، وأعنى به احساس الجزء بالكل واجتذابه اليه

الثورة الفرنسية

أسبابها - سلوكها - أغراضها

لقد مضى على الثورة الفرنسية ثيف وأربعين ومئة سنة وما زالت ميدانا خصبا للمؤرخين ومادة واسعة للباحثين وأخرجت عنها مئات الكتب والأبحاث . ذلك لان الثورة الفرنسية حادث عظيم في تاريخ البشرية تسبب من جرائها انهيار عروش الاستبداد وحدث شوكه الملوك والاشراف وتعميم رسالة الثورة المبففة على الحرية والاخاء والمساواة . . . وما صاحب الثورة الفرنسية من تحالف الدول الرجعية على فرنسا الناهضة وقضاها على خنق الثورة التي اقلقت رجال الاستبداد وما تسبب عن الثورة من قيام نابليون بونابرت وحروبه الشعواء وتكوينه امبراطورية شملت معظم أوروبا وخضوع معظم ملوك أوروبا له والحروب الطويلة التي اشتبك فيها مع أعدائه والصراع المنهك بينه وبين بريطانيا . ثم ما نتج من انتصار مبادئ الحرية وانتهزام الرجعية بعد أن حاول القضاء على كابوسها المريع اعنى الحرية ، والسياسة التي جرى عليها زعماء الاستبداد من القضاء على الثورات بالتدخل في شئون الدول وأمورها . ولكن الفصل الاخير بين الحرية والرجعية انتهى بسحق الثانية وانتصار الاولى فقامت الجمهوريات محل الملكيات واضطر الحكام ان يمنحوا الشعوب الدستور وان يحترموا ارادة الامة وان يخدموها لا أن يخدموا مصالحهم الخاصة

كل ذلك نتج عن الثورة الفرنسية اعظم حوادث التاريخ بلا مبالغة أو تهويل وقبل الكلام على الثورة الفرنسية وما صاحبها من حوادث وأحداث يجب علينا أن نذكر كلمة مختصرة عن حالة فرنسا قبل الثورة والعوامل والظروف التي أدت الى الثورة

النظام القديم

يطلق على الحالة السياسية والاجتماعية لفرنسا قبل الثورة لفظ « النظام القديم » . ويمتاز المجتمع الفرنسي القديم بعدم المساواة بين السكان وعدم اعتراف الدولة بغير الدين الكاثوليكي دينا رسميا للدولة

١ - الملوكية : ابتدأت الملوكية الفرنسية من القرن العاشر بنظام ديمقراطي لكي تتمكن من حكم الاشراف حتى أصبح نظام الحكم استبداديا وذلك من حكم فرنسوا الاول ثم في عهد لويس الرابع عشر صاحب المجلة المشهورة « أنا الدولة والدولة أنا »

كانت الحكومة مطلقه ليس للشعب رقابة عليها يديرها الملك بالاشتراك مع وزرائه . على أننا يجب أن لانغالى في تقدير سلطة الملك فقد كانت محدودة بالامتيازات المختلفة الكثيرة الممنوحة لطبقات الشعب . زيادة على ذلك كان هناك نوع صغير من البرلمانات غير أن الملوكية وخاصة في أواخر عهد لويس الخامس عشر أخذت في الضعف وأصبح الملك تحت تأثير رجال الحاشية وجيالات النساء . وكانت نفقات الحاشية طائلة . وكانوا يتمتعون بحق سجن أعدائهم بواسطة أوراق على يياض يعطيها الملوك لمن نال الحظوة لديهم من الاشراف فيستطيع أولئك القبض على أعدائهم والقائهم في غياب السجون وخاصة سجن الباستيل وكانت تسمى تلك الاوراق *Lettres des cachets*

٢ - الامة : كانت الامة الفرنسية مقسمة الى ثلاث طبقات هي : -

١ - الاشراف ٢ - رجال الدين ٣ - الشعب

طبقة الاشراف : ويبلغ عددها حوالى ١٤٠ ألفا وقد تنازوا الملك عن حقوقهم الاقطاعية في القضاء ولم يبق لديهم من حقوقهم القديمة سوى قرض لبعض الضرائب الصغيرة على المزارعين . وكان بعضهم يعيش في الاقاليم في قصورهم وقلاعهم أو في بلاط الملك في فرساي ولم يفرض عليهم من الواجبات سوى الخدمة العسكرية

وكان الاشراف معفون من ضريبة *La Taille* وعدد لا يحصى من الضرائب الاخرى . وقد كان اغناؤهم من الضرائب عبثا ثقيل على المجتمع الفرنسى ذلك لانهم أصبحوا طالة على بقية الشعب بعد أن كانوا يخدمونه قديما خدمات جليلة من حماية المغيرين من قبائل البرابرة ومن غزوات العرب من الجنوب

وكان الاشراف ذوى كبرياء وعظمة يتفخرون بالدم الازرق ويأتقون من مخالطة باقى الشعب الفرنسى حتى ولو كان من أعظم الاغنياء . فلا زواج ولا مصاهرة بينهم وبين الطبقات الاخرى يحدون في ذلك عارا عظيما . وقصارى القول انهم كانوا في عزلة عن بقية طبقات الشعب الفرنسى

طبقة رجال الدين : وكان عددهم حوالى ١٣٠ ألفا وينقسمون الى قسمين : القسيس والاساقفة والرهبان وقد كانوا معافين من دفع الضرائب وكان ايرادهم يتكون من دخل الكنائس والمستشفيات

والمدرس . وكانوا يملكون أراضي واسعة من أيام الاقطاع أوقعت على الكنائس والاديرة . وزيادة على ذلك كان رجال الدين يفرضون على الشعب ضريبة اسمها La dime وكانت أعظم موارد دخلهم وكان رجال الدين يحاكم خاصة

طبقة الشعب : ويبلغ عددها ٣٥ مليوناً وكانوا طبقات

١ — الطبقة المتوسطة وهي طبقة غنية متعلقة تقوم بالقضاء والادارة وأما حظر عليها الوظائف

العليا في الجيش

٢ — تجار المدن والعمال

٣ — المزارعون ومعظمهم من الملاك . واسكنها لم تكن تتمتع بأى مزية وتدفع الجزء العظيم من الضرائب وكانت في أواخر حكم لويس الرابع عشر على درجة كبيرة من الفقر والبؤس

القضاء

وكانت الرشوة متفشية بين القضاة والمحاكم متعددة ولم يكن التشريع واحداً كما يأمنا هذه . فالقسم الشمالى من فرنسا يحاكم بالتقاليد الجرمانية والقسم الجنوبي كان يجري على أحكام القانون الرومانى لقربه من ايطاليا مهدده ولاستعمار الرومان قريبا هذه الانحاء . ففى كل مدينة وقرية واقليم كان التنافس ظاهرا بين القضاة . وكانت العقوبات صارمة وحشية وكان التعذيب أهم الوسائل للحمل المتهمين على الاعتراف

وأخذ الفرنسيون يشعرون بتلك المساوية وبالغبين الواقع عليهم فأخذوا ينادون بالإصلاح والحد من سلطة الملك والمساواة فى الضرائب وتوحيد التشريع والمحاكم

على أن أحدا لم يدر فى خلدته أن هذه المناداة ستتحول فى يوم من الايام الى ثورة عظيمة امتاز حكم لويس الخامس عشر فى القرن الثامن عشر بظهور طائفة خطيرة من الادباء والكتاب والفلاسفة عمل بعضهم على بذور الثورة وبهمننا منهم أربعة وذلك لعظيم الاثر الخطير الذى نفا عن افكارهم وتأثيرها فى الثورة . اولئك الاربعة هم

١ — مونتسكيو ٢ — فولتير ٣ — جان جاك روسو ٤ — ديدرو

مونتسكيو

ولد مونتسكيو سنة ١٦٨٩ وكان نائبا فى البرلمان عن مقاطعة جيون

وأهم مؤلفاته الخطابات الفارسية وأسباب عظمة الرومان وأخطاؤهم وروح القوانين . ويمتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح

وأهم كتب مونتسكيو هو روح القوانين فقد قسم الدول الى جمهورية وملوكية معتدلة وملوكية استبدادية . وأهم ما عرف عنه هو نظريته في فصل السلطات . ففي كل دولة راقية ثلاث سلطات السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية . نادى مونتسكيو ببدأ الفصل بين الثلاث السلطات وجعل مبدأ الفصل مانعا من اساءة استعمال السلطة اذا ما تجمعت كلها في يد واحدة ومما يذكّر عن مونتسكيو انه اقترح عقد معاهدة دولية لالغاء الرقيق . وقد توفي سنة ١٧٥٥

فولتير

ولد فولتير سنة ١٦٩٤ وقد كان كاتباً عبقرياً ترك لنا مؤلفات تاريخية منها عصر لويس الرابع عشر ولا هزليا . والف عدة درامات أهمها زائير وميروب واكثر من ١٢ الف خطاب وكان عدوا لدودا للكنيسة . قضى جل عمره في محاربتها والسخرية منها وبالرغم من محاربه الكنيسة الكاثوليكية فانه كان شديد الايمان بالله ولقد قضى فولتير حياته وهو يهدم سلطات التعصب ويشتم على استبداد الحكومة وظلمها . وقضى فولتير أيامه الاخيرة في قرية فرناى بجوار جنيف وتوفي سنة ١٧٧٨

جان جاك روسو

ولد جان جاك روسو سنة ١٧١٢ وأهم مؤلفاته اميل حيث ذكر آراء جذيرة بالاحترام في التربية والتعليم . وأما نغم مؤلفاته فالمعقد الاجتماعي حيث أعلن فيه نظريته في السيادة « بولد الفرد على اخلاق قاضلة وأن الهيئة الاجتماعية هي التي تقسده فهو لا يحتاج في اول الامر أى في العهد الفطري لسلطة عامة اذ هو في حالة الطبيعة هادئ البال ولكن لما انتشرت المدينه وظهرت الفروق الاجتماعية من فقر وغنى نشب التنابذ والتنافس ورأى الافراد أن لا يخرج من حالة الفوضى سوى الاشتراك عن طريق القصد الاجتماعي فيتنازل الفرد عن حقوقه الشخصية للمجموع بشرط أن تحتفظ بحريته كما كانت من قبل فبذلك تحقق المساواة بين الجميع »

وقد تسلطت آراء روسو هذه على أفكار رجال الثورة الفرنسية بحيث خرج اعلان حقوق

الانسان مصطبعا بها

وقبل أن نختم هذا الفصل يجب أن نذكر كلمة صغيرة ندافع بها عن الملكية الفرنسية فهما
غالى المؤرخون في بيان مساوية الملكية الفرنسية وعيوبها فيجب علينا أن نذكر المجهودات الهائلة
التي قام بها ملوك فرنسا من القرن الثاني عشر الى أواخر أيام لويس الخامس عشر في سبيل توحيد
فرنسا بين حروب أوقدوا نيرانها ومصاهرات مع الامراء وزواج مع وريثات المقاطعات الفرنسية
وبذلك أصبحت فرنسا مملكة موحدة كاملة ذات سيادة

لويس السادس عشر

في سنة ١٧٧٤ توفي لويس الخامس عشر فتولى عرش فرنسا حفيده لويس السادس عشر في
العشرين من عمره وكان متزوجا اميرة نمساوية هي ماري انطوانيت بنت اميرة النمسا ماري
تيريز سنة ١٧٧٠

وابتهجت فرنسا بالملك الشاب فقد كان لويس محبوبا لدى الشعب وكان عادلا طيب القلب نقي
الصفات مسيحيا بمعنى الكلمة يميل الى الإصلاح غير ان الملكة والحاشية كانا اكبر عائق له في
الإصلاح . وكانت وزارته الاولى مكونة من رجال مختصين مشهورين امتازوا بالمتابعة على العمل
والأمانة . فاختص ترجو بالمالية فأصدر عدة قوانين لحاجة الزراعة وقضى على الاوبئة وأكثر من
زراعة الحبوب وشجع الصناعة فالتى نقابات العمال التي كانت تمنع العمال من أن يصبحوا أرباب أعمال
وأبطل السخرة ضريبة La corvée التي كانت عبثا ثقيلا وعديمة النفع . واعاد بعض الوزراء تكوين
برلمان باريس ومنح الملك البروتستانت حرية العقيدة والعبادة وعزم على إلغاء Lettre de Cachet
الذى كان يسمح للملك بسجن رعاياه بدون محاكمة

ولكن هذه الإصلاحات الحكيمة سببت تدمير الحاشية فاضطر ترجو الى الاستقالة مما أسف
له الملك وقال « لا يوجد سوى المسيو ترجو وأنا لهبة الشعب »

حرب الاستقلال الأمريكية « ١٧٧٨ — ١٧٨٣ »

في سنة ١٧٧٦ ارادت المستعمرات الانجليزية في أمريكا منحها حق الموافقة على الضرائب فرفضت
انجلترا . فعزمت المستعمرات على الاستقلال فأعدت مقاطعات امريكا وأعلنت الجمهورية تحت اسم
الولايات المتحدة الامريكية وعين أحد كبار المزارعين جورج واشنطن رئيسا للجمهورية وأرسل
واشنطن فرانكلين الى لويس السادس عشر طالبا ٤٠٠٠ معونة فرنسا فأذن الملك الى لافايت

وروكامبو أن يقودا جيشا من المتطوعين الفرنسيين لمساعدة الأمريكيين وبعد ذلك تدخلت فرنسا في الحرب مباشرة وانهمز الانجليز . وأخيرا أعلن استقلال امريكا واعترفت انجلترا سنة ١٧٨٣ باستقلال الولايات المتحدة بمقتضى معاهدة باريس . وعادت الجيوش الفرنسية الى بلادها تنشر مبادئ الحرية فزادت الرغبة في الاصلاح وفتحت الاذهان لمبادئ الحرية

غير أن النفقات الطائلة التي اتفقت في الحملة الأمريكية اضطرت لويس السادس عشر أن يستدعى المالى السويسرى فيكر . فعزم فيكر على سد العجز بالقروض وليس بالضرائب فأشهر وأحبه الشعب واسكنه لما رأى خطر طريقة القروض عزم على أن ينهج منهج ترجو فمقد العزم على فرض ضريبة عادلة على جماهير الشعب لافرق بين شريف وفقير . غير أن الحاشية قاومته أشد مقاومة فاضطر الى الاستقالة سنة ١٧٨١ تاركا وراءه عجزا طائلا وديننا باهظا

ورفض برلمان باريس تقرير الضرائب التي أقرها كالون وريان خلفاء ترجو وصمم على اجتماع ودعوة جمعية طبقات الامة فأعيد نيكرا ثانيه الى الوزارة واستدعى جمعية طبقات الامة وبذلك بدأت الثورة الفرنسية بمسألة مالية وبما يدل على العجز الشديد في الميزانية ان الإيرادات السنوية كانت ١٦٠ مليون من الفرنكات والمصاريف السنوية نصف مليار فرنك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مجلس طبقات الامة

افتتح مجلس طبقات الامة في فرساي في ٥ مايو سنة ١٧٨٩ وعلى حسب العرف السارى انقسم النواب الى ثلاث طبقات :-

١ - رجال الدين ٢ - الاشراف ٣ - العامة

وبجتم نواب كل طبقة في مكان خاص

وقد قدم نواب الشعب من أول الامر عرائض بطلب الاصلاح تحتوى رغبات الشعب في توحيد التشريع وحق الامة في فرض الضرائب والرقابة على المعروفات والغاء ضريبة الرؤوس وحرية الفكر والكتابة

وحصل نواب الشعب على صوتين بدون عناء فبذلك تساوا أمام الاشراف ورجال الدين مجتمعين ولكن التقاليد كانت تقضى بان كل طبقة تعتبر طبقة واحدة فبذلك يكون صوت العامة الثانى لاقية له . لذلك طلب نواب العامة الاقتراع بالاصماء . فرفض الاشراف ورجال الدين وصمم

نواب العامة على رأيهم قائلين أنهم يمثلون ٩٦ ٪ من الامة وأعلنوا تكوين الجمعية الاهلية لتلقاء ذلك أمر الملك بأقفال قاعة نواب العامة متمللا باصلاحات ضرورية فيها فتجمع نواب العامة في فناء ملعب يوم في ٢٠ يونيه سنة ١٧٨٩ وأقسموا أمام رئيسهم بايلي أن لا يتفرقوا قبل أن يضمنوا دستوراً لفرنسا . وفي اليوم التالي اجتمع معظم رجال الدين مع نواب الشعب وانضموا اليهم وفي ٢٣ يونيه ذهب الملك الى قاعة المجلس وأعلن بطلان القرارات المتخذة من النواب واعتبرها غير مشروعة ولكنه وعد بالاصلاح فلان تفرض أى ضريبة الا برضاء المجلس وأنه لن يبذّر في ايرادات الدولة وعزم على اصلاح الادارة والقضاء واطلاق حرية الصحافة والطباعة وقال ان الحرية الشخصية ستحاط بضمانات عظيمة ثم أمر برفع الجلسة فتذمر النواب ورفضوا الخروج وصاح رئيس التشريعات مذكرا النواب بأمر الملك فصاح ميرابو نجاة « اتنا هنا بارادة الشعب ولن نبرح أما كننا الا على أسنة الرماح »

دهش لويس السادس عشر من عناد النواب وسمح لهم بالبقاء ودعا الاشراف ورجال الدين الى الانضمام مع مجلس النواب فقال الرئيس بايلي « كلت الاسرة » واتخذ مجلس طبقات الامة اسم الجمعية الاهلية المؤسسة في ٩ يولية سنة ١٧٨٩

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سقوط الباستيل

وتنفست فرنسا الصعداء لعودة الهدوء ولكن الملك أقال نسكر من الوزارة فتجهمر الغوغاء وذاع في باريس أن الحرس الملوكي سوف يحتلها فانهز الصحافي الفرنسي الشاب كاميل ديمولين هذه الفرصة وألهب بمقالاته النارية صدور الغوغاء فثاروا واستولوا على البنادق والمدافع الموجودة في الانفاليد ثم هاجموا الباستيل في ١٤ يولية فسقط في أيديهم ودكوه بعد أن قتلوا حراسه « والباستيل حصن أنشئ في باريس في ١٣٧-١٣٨٢ في أيام شارل العاشر ثم استعمل سجنًا للمسجونين السياسيين » وأراد الملك أن يخمّد الثورة فدخل باريس وذهب فوراً الى الجمعية وقبل علم الثورة المثلث وألوانه ثلاثة : الابيض رمزا لفرنسا والازرق والاحمر رمزا لباريس . ومن ذلك التاريخ أصبح العلم المثلث علم فرنسا . ووافق الملك على انشاء الحرس الاهلي الباريسي

ليلة ٤ أغسطس

أدى سقوط الباستيل واتحاد الشعب والجيش الى ثورات عنيفة في الاقاليم فهاجم الغوغاء

مكاتب الحكومة وقصور الاشراف وطرودوا جياة الفرائب . وتسليح الزراع ورجال الطبقة المتوسطة . ورأى فريق من الاشراف وعلى رأسهم كونت دارتو المستقبل الخطير المظلم فهاجروا من البلاد . وفي ليلة ٤ أغسطس اقترح الاشراف ورجال الدين التنازل عن جميع امتيازاتهم فابتهج الشعب

حوادث ٥ و ٦ أغسطس سنة ١٧٨٩

غير أن زعماء العامة وشباب الصحافة أمثال كاميل ديمولين ومارا أخذوا يحرضون الجماهير على الثورة . وحدث أن أصيبت باريس بمجاعة في ١٠ أكتوبر سببها نقاد الخبز فتجمع حوالى ٨٠٠٠ امرأة وسرن قاصدات فرساي مقر الاسرة المالكة وتبعهم بعض مئات من الرجال المسلحين وهاجم النساء القصر الملوكى واقتحمن أسواره وبالرغم من دفاع الحرس الملوئى والحرس الاهلى الباريسى بقيادة لافايت اقتحمت النساء دهاد القصر وذبحن من قصدى لهن من الحراس ودخلن على الملكة في مخدعها . واضطر الملك وعائلته أن يرجع الى باريس وقد أحاطت النساء بالعربة الملكية هاتفات صارخات « لن نموت بعد اليوم من الجوع فعمدنا الخباز والخبازة وصبي الخباز » يمين الملك والملكة وولى المهد وانتقلت الجمعية الاهلية الى باريس فأصبحت تحت سيطرة العامة وتدخل الفوغاء في أعمالها مما كان له أسوأ الاثر في أعمالها

أعمال الجمعية الاهلية

وكان أهم أعمال الجمعية في باريس اصدار الدستور المدنى لرجال الدين وقد عارضه الملك أشد معارضة وكان يقضى بانتخاب القس والاساقفة بواسطة مجالس نيابية دون تعيين أو رجوع الى البابا . وطلب من الكهنة أن يقسموا على احترام هذا الدستور . فوافق البعض ورفضت الاغلبية وكان هذا بدأ تاريخ اضطهاد رجال الدين ثم صادرت الجمعية أملاك الكنيسة وكانت مخصصة لمنفعة الكنائس والتعليم والاحسان والدين فلما مست حاجة الحكومة الى المال عمدت الى مصادرة أملاك الكنيسة فنار رجال الدين وأقل كثير من الملاجيء والمدارس والمستشفيات

وفي أغسطس سنة ١٧٨٩ أعانت الجمعية حقوق الانسان والموظفين وتتكون من حوالى عشرين مادة أقتطعت من آراء روسو ونحن نأتى هنا بمجمل لها . فنص فيها على أن الانسان يولد حرا وانه ساوى غيره في الحقوق وأن الفوارق الاجتماعية لايمكن أن تقوم الا على أساس مصالحة الشعب

وان الامة مصدر السلطات وانه لايجوز اتهام شخص او القبض عليه او محاكمته الا في الاحوال المنصوص عليها في القانون وأطلقت حرية المعتقدات والفكر والدين والصحافة ونص على أن الملكية حق مقدس النخ

هرب الملك

في تلك الاثناء تقرب الملك من ميرابو غير أن الحظ العاثر أبي الا ان يموت ميرابو في ٢ ابريل سنة ١٧٩١ فعزم الملك على الفرار الى الخارج . ففي يوم ٢٠ يونيه ١٧٩١ خرج الملك مع أسرته سرا حتى وصلوا الى فارن وهناك انتضح أسرمهم وقبض عليهم وأعيدت الاسرة الى باريس وسط مظاهر السخرية . فاضطرت الجمعية ان وقف الملك وعينت عليه حرسا خاصا في التويلري

وبعد ثلاثة أشهر أعيدت للملك حريته وقدمت الجمعية له الدستور الجديد « وسمى فيما بعد بدستور سنة ١٧٩١ » فصدق عليه الملك . وقد نص الدستور على أنه لايجوز انتخاب أحد أعضاء الجمعية الالهية عضوا في المجلس الجديد مما أفقد البلاد حنكة مهرة رجال السياسة وجاءت الجمعية الجديدة بشباب ملتهب نائر . ومنحت السلطة التشريعية للملك بالاشتراك مع الجمعية التشريعية . ومنح للملك حق النعم التوقيفي فله الحق أن يعارض قانونا لا يصدق عليه أربعة سنوات متتالية . والنفي الدستور تقسيم فرنسا الاداري القديم فقسمت فرنسا الى ٨٣ مقاطعة متساوية . وقسمت المقاطعة الى مراكز والمراكز الى بنادر والبنادر الى قرى . وفي المالية النفي الدستور النظم القديمة وجعل معظم الضرائب عقارية . وعدل نظام المحاكم والجيش فجعلت الخدمة العسكرية اجبارية . وجعلت المحاكم أقساما فقسمت الى محاكم للمصلح ومحاكم مدنية ومحاكم جنائية ومحاكم استئناف ومحكمة للنقض والابرار . وأدخل نظام المحلفين في القضايا الجنائية وجعل مناصب القضاء بالانتخاب

الجمعية التشريعية

قدمنا فيما سبق أن دستور ١٧٩١ نص على أن الملك يحكم بالاشتراك مع الجمعية التشريعية . ووظيفة هذه الجمعية عمل القوانين . وقد كان معظم أعضاء الجمعية موالين للملك وكان هؤلاء يريدون تطبيق النص الحرفي للدستور . وكان باقي أعضاء الجمعية ينتمون الى حزب الخيرونند نسبة الى مقاطعة لاجيرونند التي كان معظم زعماء حزب الخيرونند نوابا عنها وهم جنسونيه وكويديه وبريسو . وكان ذلك الحزب يريد تعزيز سلطات الملك

وكان اول أعمال الجمعية معاداة املاك الاشراف ورجال الدين المهاجرين فاعترض لويس السادس عشر على هذه القوانين مستعجلاً حق المنع
ولكن الملك وافق على قرار الجمعية التشريعيه باعلان الحرب ضد النمسا التي انتهزت الحوادث لتجزئة فرنسا وابتدأت الحرب في غير صالح فرنسا سنة ١٧٩٢

حوادث ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٢

فانهز اليعاقبه أعداء لويس السادس عشر « هم حزب ثوري سمي كذلك لان اجتماعاته كانت تعقد في دير قديم للرهبان الدومنيكان وكان يطلق على هؤلاء في فرنسا اسم اليعاقبة . وما زال هذا المكان موجودا في باريس بالقرب من شارع سانت هوزيه » وحرصوا لغوء باريس على الملك . فاتهموه بالخيانة وهاجم الشعب التويلري واجبروا الملك على الموافقة على قوانين المهجرة وكان ذلك في ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٢ . وقد أظهر لويس السادس عشر جرأة شديدة وثباتا أدهش القوغاء

في تلك الاثناء كانت الحرب مستمرة وبخالفات بروسيا مع النمسا وهدد الاعداء الحدود ثم جاوزوها فاعلنت الجمعية أن الدولة في خطر ونادت بالتعبئة العامة فلي الجميع شيوعا وشبابا نداء الوطن بحماسة وتدفقت جيوش المتطوعين من كل قرية فرنسية

حوادث ١٠ أغسطس

وأخذت الأمور تتعقد وعوامل الثورة تعمل في سكون واستمر التحريض وعمل اليعاقبه على اسقاط الملك وفي ٢٥ بوليه أصدر دوق برنسويك قائد الجيوش البروسيه منشورا يهدد باريس بالدمار ان اصاب الملك بسوء . فتكونت حالا في باريس لجنة الثورة وهاجم القوغاء قصر التويلري في ١٠ أغسطس ودافع الحرس الملكي عن ذلك دفاع الابطال وقتل معظمهم ولجأ الملك مع امرته الى الجمعية التشريعيه فوعدت الجمعية الملك بالحماية ولكنها أوقفت . وتكون في باريس مؤتمراً أهلي كان أول أعماله سجن الملك وأمرته في قصر التمل . وكان دانتون يطل جميع هذه الحوادث وانتقل الحكم الى أيدي زعماء الرعاع . وأصبح زعيم حوادث ١٠ أغسطس دانتون وزيرا

للسحقانية وجمع في يديه جميع السلطات فقبض على الاشراف وامتلاّت بهم السجون . وفي ٢ و ٣ سبتمبر هاجم مارا بعصابات مسلحة سجون باريس وذبح الاسرى وكلمهم من الاشراف وكان أعظم القتلى الاميره لامبال صديقة الملك وقطم رأسها ووضعت على رمح وأهديت الى الملكة ١
في تلك الاثناء تقدم الاعداء في أرض فرنسا وسقطت فردون مفتاح باريس فتجمع الفرنسيون في غالى وهاجمت الجيوش البروسية الجيوش الفرنسية فانتصر الجيش الفرنسي واضطر الاعداء الى التقهقر . وفي الوقت نفسه انتصرت الجيوش الفرنسية على الرين وفي سافوى ونيس وتقهقر الاعداء في جميع الميادين
وانحلت الجمعية التشريعية وحل محلها المؤتمر

المؤتمر سنة ١٧٩٢ - ١٧٩٥

قرر المؤتمر في أول جلسة له إلغاء الملكية « ٢١ سبتمبر سنة ١٧٩٢ » وأعلن الجمهورية في ٢٢ سبتمبر . وكان في المؤتمر ثلاثة أحزاب :
في اليمين الجيرونديون يرغبون في حكومة حازمة عادلة ووضع حد للذابيح . وفي الوسط حزب السهل وفي اليسار اليعاقة أو الجبلين وزعمائهم دانتون بطل حوادث ١٠ أغسطس ومنظمها ومارا زعيم مذابح سبتمبر وروبسيير . وكانوا على استعداد لارتكاب أخط الجرائم في سبيل المحافظة على الثورة ويؤيدهم غوغاء باريس

اعدام لويس السادس عشر

أعلن اليعاقة رغبتهم في محاكمة لويس السادس عشر أمام المؤتمر فقتل أمامه ودافع عن نفسه كما دافع عنه محاميان دفعا عنه كل التهم التي وجهت اليه وأفلح اليعاقة في الحكم عليه بالاعدام وكانت الاغلبية ٥٣ صوتا

وأعدم لويس السادس عشر على المقصلة في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣ وقد مات ملكا ومسيحيا بعد أن سامح أعداءه

وابتدأ بأعدام لويس السادس عشر عهد الارهاب وعين مارا وروبسيير ودانتون زعماء لجنة

الامن العام ونجحت في أيديهم السلطة التنفيذية وأنشئت محكمة للثورة وكانت تقضى بالاعدام لانتفه الاسباب ولأقل النهم

وقد سبب موت لويس السادس عشر ثورة أهلية في غرب فرنسا وفي فنديه وفي إقليم بريطانيا وسلمت طولون للانجليز ولكن رجال الثورة تمكنوا من اخماد الثورات بعنف وشدة

كما أن الدول تألبت على فرنسا وتحالفت للقضاء على الثورة . فكون ولیم بت الوزير الانجليزى الكبير تحالفا جم دول أوروبا ماعدا دغركا وسويسرا وتركيا ضد فرنسا بقيادة انجلترا . وهذا يخرج عن موضوع الثورة ولكننا نقول ان فرنسا تمكنت من هزيمة أعدائها والدخول في ايطاليا وخرجت بروسيا واسبانيا من التحالف بمعاودة بال وأعلنت هولندا الجمهورية وأصبحت حليفة لفرنسا

بين العاقبة والجيروند

حاول الجيروند وضع حد لآعمال العاقبة وعارضوا سياستهم فهاجم العاقبة الجيروند في المؤتمر وسجنوم في ٢ يونيه ١٧٩٣ . ثم حوكموا وقضى عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في اكتوبر ١٧٩٣ وقامت شارلوت كورداى انتقاما من العاقبة فتمكنت من الدخول على مارا وكان يستمع في منزله قطعته طمعة نجلاء أمانته على الفور . وقبض عليها وأعدمته . وأعدمت لجنة الثورة آلافا على القصة من الاشراف ورجال الدين وأفراد الطبقة المتوسطة رجالا ونساء وحتى الاطصال . وكان أول الصرعى الملكة ماري انطوانيت ومدام اليزابت أخت الملك وفيليب المساواة ابن عم الملك والكبائي لافوازييه والشاعر اندريه شنييه

وثارت نانت فانتقم مجلس الثورة من أهلها باغراق شبانها في نهر الوار . كما ثارت ليون فخرها فوشيه وكولت بالمداقم وأعدم آلافا من أهلها . كما ثارت نولوز وغيرها من المدن فقضى على الثورات بعنف وقسوة . ودمرت الكنائس وبيعت أو خصصت لربة العقل ممثلة في طاهرة

انقسام العاقبة

وأخيرا انقلبت القطعة على أولادها وانقسم العاقبة الى ثلاثة شيع وعلى رأس كل شيعه روبسيير وهير ودانتون . فتمكن روبسيير من اعدام هير ودانتون بعد محاكمتها أمام محكمة الثورة

وأصبح روبسبير شبحاً مخيفاً ألغى الديانة المسيحية واستبدل بها ديانة العقل وجعل نفسه كاهناً أعظم وعم العرب فرنسا جميعاً

وأخيراً اتحد أعداء روبسبير وتمكنوا في ٢٧ يولييه ١٧٩٤ من مهاجمته في الجمعية وتمكن أحد الجنود من جرحه . وفي اليوم الثاني أعدم على المقصلة مع ٢٢ من أنصاره وتنفتت فرنسا الصعداء

حاول بقايا اليعاقة مع غوغاه العامة من ارجاع عهد الثورة ففضى عليهم نابليون بوناپرت وكان ضابطاً صغيراً قضاء مبرماً . وألغيت محكمة الثورة والقوانين الاستثنائية . وأقل المؤثر في ٢٩ أكتوبر ١٧٩٥ وحلت محله حكومة الديركتوار وكان عصرها من أزهى عصور الحكم الفرنسي وبه أصبحت فرنسا من أعظم دول العالم

نتائج الثورة

يجدر بنا أن نذكر ماحققته الثورة من نتائج

أولاً : عدلت الثورة من نظام المجتمع الفرنسي فمن الناحية السياسية ساوت بين جميع المواطنين فلا فرق بين غنى وفقير ولا فرق بين دين ودين وجعلت الاقتراع العام مبدأ أساسياً في الدستور ومن الناحية الاقتصادية أصبح معظم الفلاحين ورجال الطبقة المتوسطة ملاكاً للأراضي الزراعية التي اشتروها بعد مصادرة أملاك الأشراف ورجال الدين . ومن الوجهة التشريعية وحدت جهات التشريع . كما أنشأت حكومة الثورة كثيراً من المتاحف ومدارس الطب والهندسة والمرصد وأدخلت طريقة المعيار المترى وقررت التعليم الإلزامي المجاني

كان مؤتمر الثورة قد أعلن في يوم ٥ أكتوبر سنة ١٧٩٣ رغبته في إزالة كل علامة من علامات النظام القديم « الملكية » وقرر إلغاء نظام التقويم المسيحي الجريجوري واستبدل به تقويم الجمهورية . فألغى التقويم الجديد العصر المسيحي وعين يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ ابتداء عصر الحرية ونهاية السنة الأولى للجمهورية وقسمت السنة الجمهورية إلى ١٢ شهراً يحتوي كل شهر ثلاثين يوماً وسمّاها الشاعر « فابردا جلنتين » أسماء مختلفة :

فنديمير شهر السكروم . برعير شهر الضباب . فريجير شهر البرد . نيفوس شهر الجليد . بليفوس شهر الأمطار . فنتوس شهر العواصف . جرمينال ازدهار الحبوب . فلوريال شهر الزهور . برييال

شهر المراعى . مسيدور شهر الحصاد . ترعيرور شهر الحر . فركتدور شهر الفواكه
وأما الخمسة أيام الباقية (وستة في السنوات الكبيسة) فقد خصصت للراحة . وقسم الشهر الى
ثلاث عشرات سميت أيامها :

برميدى . ديورى . تريدى . كواريترى . كاتتيرى . سكستيدى . ستدي . اوكندى .
نونيدى . وكادى

والنيت الاعياد القديمة الدينية واستبدلت اعيادا مدنية . واسكن كان كل ذلك عبثا ولم يمش
تقويم الثورة الا اربع عشرة سنة وفى أول يناير سنة ١٨٠٦ أعيد التقويم الجريجورى وألغى
تقويم الجمهورية

ديمتري سلامه عبود



الميكروبات والأمراض

بقلم الاستاذ رمسيس شحاتة

منذ قرن تقريبا استطاع باستير أن يثبت بالحجة الدامغة التي لا تقبل النقض ولا يأتيها الباطل أبأى وسيلة من الوسائل أن الميكروبات أشياء حقيقية موجودة وأنها فوق ذلك كائنات حية تتكاثر وتتوالد ولها مظاهر نشاطها أوجه متعددة . ومن ذلك اليوم أصبحت الميكروبات هي المركز الذي تركز عليه مختلف الأبحاث الطبية والهور الذي تدور حوله وتنتقيد به في كل مالمدينا من وسائل التشخيص أو للعلاج . وازدهر علم الميكروبات ووصل إلى درجة من التقدم لم يعرفها من قبله أى علم من العلوم الطبية الأخرى

وظل الحال على هذا النوال ما يقرب من القرن تقريبا ونحن لا نرى في الأمراض الا مظهرا من مظاهر نشاط الميكروبات ولا يمر بنا يوم الا ونكتشف الميكروبات علاجديا وتطورت نظرتنا إلى الأمراض بادخال فكرة الميكروبات عليها تطورا هائلا وتطورت أيضا بمرور الزمن الصورة الذهنية التي كوناهنا عن الميكروبات . فلم يعد الميكروب مكوب هو الحكم الاخير الذي لا بد لنا أن نلجأ إليه في اكتشاف الميكروبات واثبات وجودها فقد أفلتت بعض هذه الميكروبات من رقابته واذا بالميكروبسكوب بين ضحية وعشاها عاجز عن اسمافنا أو البت في المشكلة بتا حاسما بعد أن كان المرجح الاخير والحجة الكبرى . وذلك لأن العلماء استطاعوا أن يثبتوا ان بين الميكروبات مالا سبيل إلى رؤيته ولو بأقوى الميكروسكوبات . وأعظمها تكبيرا . وبادخال هذه الفكرة الجديدة وجد علماء الميكروبات سبيلا سهلا إلى اسناد جميع الأمراض تقريبا إلى الميكروبات . فاما من مرض في رأيهم الا وله ميكروب خاص فان أمكن رؤية هذا الميكروب بواسطة المجهر كان ذلك هو الدليل القاطع والحجة الدامغة أما ان استعصى الامر واستحال على المجهر اسمافنا فلا بد من أن يكون الميكروب من ذلك النوع الجديد الذي لا يمكننا أن نراه

وعند ذلك ظهر جليا ان مجال البحث في هذا الموضوع متسع أقصى اتساع وأن ميدان العمل في هذا الباب لا تحده حدود اذ يكاد أن يكون على ما قدمنا حبر الزاوية فيما يمكن أن نحققه من

نجاح في كل العلوم الطبية قاطبة . ولم يعدم هذا الرأي من مناصرين توفروا على دراسة الميكروبات والبحث فيما ازدهرت هذه الدراسة أيما ازدهار وأينعت ثمارها بسرعة البرق . كما أن نتيجتها كانت أعجوبة القرن حقيقه . إذ من بين الميكروبات عدد هائل نكاد نعرف عنه الآن كل ما يمكن أن تصل اليه المعرفة البشرية مما دعا بعض العلماء الى القول انه لو استطاع الانسان يوما من الايام أن يخلق المادة الحية « البروتوبلازم الحى » لكان أول ما ينتجه هذا الخلق الجديد أحد الميكروبات المعروفة لنا دلالة على كثرة ما نعرفه عن هذه الميكروبات . ونحن لا نعرف تركيب هذه الميكروبات فحسب انما نعرف ذلك على وجه التدقيق أيضا كل وظائفها وخواصها ومظاهر نشاطها ولسنا نريد الآن التعرض لهذه الوظائف أو الخواص أو مظاهر النشاط جميعها فربما كان ذلك مستحيلا في عجلة كهذه انما نريد أن نشير الى خاصية من بين هذه الخاصيات لا نبالغ اذا قلنا في الواقع انها العمود الملقى للنظرية الميكروبية للأمراض وهى ما نسميه النوعية الميكروبية

النوعية الميكروبية

نقصد بهذه العبارة الدلالة على الحقيقة الآتية :-

لكل مرض ميكروب يسببه وفي كل مرة . بالاحظ هذا المرض لا بد من أن نوجد في جسم المريض الميكروب المناظر له . فالسل مثلا نشأ عن ميكروب يسمى باسيل كوخ نسبة الي مكتشفه وليس من الممكن أن يكون هناك مريض بالسل وليس في جسمه هذا الميكروب هذه القاعدة واضحة جلية ولا أخال القارئ ألا متفق معي على أنها استنتاج منطقى مباشر لما قدمنا

وللنوعية الميكروبية أنواع ثلاثة من الشواهد . وهذه هي قدرة الميكروب على الحياة والتوالد في الجسم ثم ما يسببه الميكروب في الجسم من مرض مع ما يصحب هذا المرض أو ينشأ عنه من عوارض ثم ما يتسبب في الجسم من اصابات موضعية معينة . ولنتأمل هذه الشواهد قليلا

أما من حيث قدرة دخول الميكروب وحياته في قواعد في الجسم فهذا دليل لتوحيته لان الميكروبات التي تستطيع المعيشة في الجسم البشرى محدودة العدد فوق أن لكل فئة منها مكانا مختارا في الجسم تستطيع الحياة فيه . وأغلب هذه الميكروبات لا يستطيع أن يعيش في الجسم الا اذا وجد في الجزء المناسب له . مثال ذلك ميكروب التيتانوس وهو ميكروب قوى شديد الاثر

والضرر بالجسم اذا اقصل بأنسجة الجهاز العصبي في الجسم ولكنه اذا أصاب أى أنسجة أخرى لا يستطيع أن يحيا فيها الا حياة خاملة . كما يوضح لنا جليا مقدار نوعية الميكروب ونوع القيود التي تثقيد بها

أما عن الشاهد الثانى وهو ما يصحب دخول الميكروب من مرض وما ينشأ من ذلك من عوارض ففي استطاعتنا أن نورد الكثير من الامثلة لايضاحه خذ مثلا الالتهاب الرئوى نجد ان مجموعة العوارض التي تلاحظ فيه تكاد تميز هذا المرض عن غيره تميزا قاطعا يكاد يكون السند الوحيد في أغلب الاحيان من معرفة المرض وتشخيصه . وفي الامراض المعدية أمثلة عديدة على ذلك مما دفع بعض علماء الميكروبات الى تقسيم الميكروبات الى طوائف تسبب كل منها ظهور عوارض معينة في الجسم بحيث نستطيع بمجرد ملاحظة هذه العوارض الاستدلال على الميكروب المسبب لها أما الشاهد الثالث الذى يظهر لنا شخصية الميكروب أو نوعيته بعبارة أدق فهو الاصابة العضوية التي يسببها الميكروب ونقصه بالاصابة العضوية مايسببه الميكروب من تغيير في أنسجة الجسم أو ما يكونه فيه من قرح أو ما يشابهه . وأوضح مثل لذلك هو السل ففي استطاعتنا أن نستدل على وجود الميكروب في أى جزء من الجسم بمجرد مشاهدة أنسجة الجسم تحت المجهر وملاحظة ما جد فيها من أشكال وظراً عليها من تغيير ، فنحن نعرف أن السل يسمى احيانا بمرض الدرن وذلك لانه يسبب في الجزء المصاب به ظهور أجسام لها بناء معين وتشبه الدرن ولو نظرت احدى هذه الدرنات تحت الميكروسكوب لاستطعت أن ترى لها بناء خاصا من السهل الاستدلال عليه في الدرنات الاخرى مما يجعلك تؤكد انها ناشئة عن السل رغم أنك لا ترى فيها أى أثر لميكروب السل نفسه ورغم أنك لا تعرف من العوارض التي تصحب المرض . ويقدم لنا السفس « الزهرى » مثلا آخر باننا نستطيع أن نحزم بوجود الزهرى في جسم ما بمجرد مشاهدة احدى القرحة الناشئة عنه تحت المجهر دون أن نحتاج الى الكشف عن الميكروب المسبب له أو استطالاع العوارض التي يشكو منها المريض

وباجتماع هذه الشواهد الثلاث تأيدت النظرية الميكروبية للأمراض ورسخ قدمها رسوخا بعيدا ووضح للعيان أن النوعية الميكروبية حقيقة لاسبيل الى الجدل فيها . فالميكروبات موجودة وليس من سبيل الى انكارها وهي التي تسبب الامراض مما أمكن اثباته بالدليل العملى القاطع فوق أن لكل منهما شخصية خاصة تظهر في هيئة دخوله الى الجسم وطرق هذا الدخول فوق

ظهورها فيما تسببه الإصابة بالميكروب من عوارض خاصة تكفى في بعض الاحيان للدلالة عليه دلالة قاطعة لا تقبل الشك . والى ما تقدم فهذه الشخصية تظهر بأقوى معانيها فيما يسببه الميكروب من الاصابات العضوية وقد بينا كيف تكفى وحدها للدلالة على الميكروب المسبب لها

لاشك أن النظرية الميكروبية التي قدمناها لمقاريء مع الأدلة التي تؤيدها والتي جعلتنا نسلم بنوعية الميكروبات لوجاهتها وبساطتها وجمالها . ولقد تمكنت من العلوم الطبية وتغلغلت فيها الى حد بعيد بحيث أصبح مجرد الشك فيها مدعاة للدهشة بل السخرية ولكن اذا كان قد قدر لهذه النظرية أن تزهو الازهار الذي عرفته وأن تصل الى ما وصلت اليه من قوة ونفوذ فانه أصبح من الصعب جدا أن نضمن لها نفس هذا الازهار أو تلك السطوة الى أمد بعيد بل نقول ان في أفق الأبحاث الطبية الحديثة ما يبشر باضمحلال زوالها وتقلص سلطانها

ان الشواهد التي قدمناها للتدليل على صحة النوعية الميكروبية ليست رغم ما يكسوها من مسحة الصدق والوجاهة عين الحقيقة ففي الامكان أن نوجه اليها انتقادات عديدة لانحسب انها تقوى على صدها والصمد لها بعد . وسنستعرض فيما يلي هذه الانتقادات لنستخلص من الانجاء الحديث للمسألة وما يمكن أن يؤدي اليه هذا الانجاء من التقدم أو التحول في وسائل العلاج أو التشخيص . فهذا هو في الواقع لب المسألة وغاية الغايات من العلوم الطبية طامبة

أما الشاهد الاول على نوعية الميكروبات وهو قدرتها على الحياة في الجسم والتوازن فيه ثم اختصاصها بطائفة معينة من الخلايا فأمر لا يعجز شخصية الميكروب ولا يؤيد نوعيته وذلك لانه أمكن بالتجربة أن نستحدث أو نستنبت من أشد الميكروبات فتكا بالجسم البشري ميكروبات لا تؤثر فيه الا أثرا قليلا ومن هذا نرى أن نوعية الميكروب التي كانت تندعم بقوة فتكه بالجلس البشري على حدة وليس ببقية الاجناس الاخرى تنهار من الاساس . ولقد أمكن اثبات التحول المفاجيء لبعض الميكروبات التي لا تصيب الانسان عادة الى ميكروبات فاتكة بالنسبة له والعكس بالعكس مما يوضح لنا بأجلى بيان أن الشاهد الذي كنا نقدمه للتدليل على نوعية الميكروب ليس دليلا سليما انما تشوبه الشوائب . والى ما تقدم فان النوعية التي تظهرها بعض الميكروبات في عدم اصابتها الا بمجموعات من الخلايا ليست الا طلاء مزيفا لا يتفق والحقيقة في شيء . ذلك أن الميكروب الواحد يستطيع أن يصيب اكثر من عضو من أعضائنا محققا في كل حالة مرضا معيننا وقد تنسم شقة الاختلاف بين هذه الامراض على نحو اتساع الاختلاف بين خراج جلدى بسيط ومرض التهاب الرئوى مثلاً

ونحن نرى مما تقدم أن المرض لا يرجع كله إلى الميكروب السبب له إنما يرجع إلى الجسم أيضا وهو يتشكل بالشكل الذي يسمح به هذا الأخير . وسنرى ذلك بوضوح أكثر فيما يلي
أما الشاهد الثاني على نوعية الميكروبات فهو كما ذكرنا مآسيه من أعراض مرضية تختلف باختلاف الميكروبات . وهذا الشاهد وإن بدا في أول الأمر حقيقة لا شك فيها لا يثبت أن يفقد كل قوته وأن يتداعى مقدرا إذا تأملناه عن قرب

لا شك أن أعراض مرض التهاب الرئوى أعراض واضحة لاسبيل لنا إلى إنكارها أو مهاجمتها فهي في الواقع المحك في تشخيص هذا المرض ولكنه مما لا شك فيه أيضا أن هذا المرض يمكن أن يتسبب عن أنواع مختلفة من الميكروبات لا تجمعها صلة ولا قرابة . فكيف يمكن أن نوفق بين نوعية الميكروبات من حيث العوارض التي تسببها وبين أمر كهذا ؟ وليس هذا هو المرض الوحيد الذي نستطيع الرد به على مزاعم النوعية الميكروبية فهناك أمراض أخرى كثيرة نذكر منها تسعم الدم مثلا وأغلب الحميات المنتشرة في البلاد الحارة . كل هذه الحميات تشتك في ارتفاع حرارتها وما تسبب عنها من طفح وغير ذلك من العوارض . ومفروض أن ميكروباتها مختلفة فهل في ذلك ما يؤيد النوعية الميكروبية ؟

ثم مارأي القارئ في حالة تالانبيه : تمرض ثلاثة للإصابة بالسل بوجودهم باستمرار في وسط موبوء مع عدم توافر وسائل الوقاية واستمر هذا التلامس بالنسبة لهم مع المدة الكافية لتحقيق الإصابة بالسل لحق الأول سلا رمويا من النوع البطيء وحقق الثاني سلا رمويا وحقق الثالث سلا رمويا حادا لم يمهله إلا أسابيع معدودة . أين هي النوعية الميكروبية في حالة كهذه ؟

إنه من المشاهد المألوفة في الطب أن نرى زوال ميكروب وحلول ميكروب آخر محله مع بقاء العوارض نفسها مما لا يتفق وإدعاء النوعية الميكروبية

أما الشاهد الثالث وكأنه أكبر الشواهد التي تؤيد النوعية الميكروبية فقد ظهر أنه ليس أسعد حفظا من سابقه . إن السل يحقق حقيقة الإصابة الدرنية المعروفة بدربة كستر ولكنه يحقق فوق ذلك عددا هائلا من الإصابات المتباعدة . وكذلك الزهري . فإنا لو تأملنا الإصابات المختلفة التي يحققها لم نستطع التمييز بينها وكما هناك من الإصابات التي تكاد تنطبق عليها كل أوصاف إصابات السل ومع كل ليس لسل فيها أثر . والأدعي أننا نستطيع أن نحصل من ميكروب السل على مختلف الإصابات في إصابة السرطان

وهل عرف الطب دليلا على نوعية الميكروبات من التحليل المعروف باسم تفاعل وامرمان

لتفخيم الزهرى وهو الآن محل أخذ ورد ومناقشة فقد تعطينا ميكروبات الملاريا وغيره من الميكروبات نتائج إيجابية
 بخيل إلى أن القارىء قد ضاق ذرعا بتسمية الميكروبات وبخيل إلى أنه بدأ يتساءل كيف أمكن أن تتخذ بهذه المسألة طوال الفترة الماضية والحقيقة اننى لا أطعم في دفعه الى هذا الحد وأحب أن نقف عند النتيجة الآتية : —

ان كان للميكروبات أثر واضح في الامراض فان هذا الأثر لا يسمح بتأكيده نوعيتها فوق أنه ليس كل شيء في المرض فللجسم أكبر الأثر في ذلك مما يدعونا الى القول ان المرض هو في الواقع المعركة لما بين الجسم والميكروب من تناضل وتنازع »

الآن وقد وصلنا الى هذه النتيجة نريد أن نستعرض بعض المسائل المتعلقة بالمشكلة رجاء استخلاص نتيجة أوفى وأعم رجاء إيضاح المسألة ايضاحاً أكثر

تطور الميكروبات

وأولى هذه المسائل هي مسألة تطور الميكروبات ولعل القارىء يتساءل الآن معترضاً ومعه أن تكون علاقة تطور الميكروبات بنوعيتها وفي الحق اننا لا نستطيع الرد على هذا الاعتراض الآن أكثر من أن نقول ان الكلام عن تطور الميكروبات ليس الا تمهيداً لاستعراض لفظة جديدة نعتقد انها نهىء لنا فيها أعمق وأوسم لحقيقة الامراض

ونقصد بتطور الميكروبات ما اكتشفه الاستاذ رولان وزوجته من جامعة مونتبيليه فيما يتعلق بشكل الميكروبات . فقد وجد هذان الباحثان أن لكل ميكروب دورة خاصة بتغير في أتناها شكله تغيراً كلياً من الشكل الاعتيادى . ولقد دفع ذلك بعض الباحثين الى دراسة الاشكال الممكنة لعدد معين من الميكروبات فوجدوا بالتجربة أننا نستطيع أن نغير ميكروب السل من العادى وهو أشبه شيء بعصبات صغيرة الى كرات أصغر في الحجم تنشأ من تقطع إحدى هذه العصبات وتقسّمها الى أجزاء لا تلبث أن تتسكور وغير ذلك من الاشكال الى أب تصل الى النوع الذى لا يرى بالميكروسكوب العادى والذى يمر في مسام المرشح ويسمى فيروس Virus وفوق ذلك فقد أمكن أن نحصل من ميكروبات معينة على ميكروبات أخرى كيكروب التيفود من ميكروب السل مثلاً وذلك بتعديل الوسط الذى نزرع فيه الميكروبات ونحريره . وهذا في الواقع أمر طبيعى وان كان كان يبدو في أول الأمر شاذاً وبكفى أن نذكر القارىء بما يسمى في علم الحياة بعملية

التجانس الذى تلجأ اليها الحيوانات اذا ما تغير الوسط المحيط بها وذلك للاحتفاظ بنوعها من الاقراض والى ذلك فقد أمكن ملاحظة تحول الميكروبات بعضها الى بعض لا من طريق التجانس بل من طريق التغير المباشر وهذه خطوة أخرى نحو ازالة الفوارق التى بين الميكروبات والمهم فيما تقدم هو أن هذا التغير أو التطور المستمر فى شكل الميكروب يصحبه تغير فى فسيولوجيته أو مظاهر نشاطه وحياته ووظائف أعضائه . وهذا قانون من قوانين الطبيعة العام فإذا كنا نسلم بأن تغير الوسط الخارجى يعقبه تغير فى شكل الكائن أمكننا أن نسلم بسهولة أن تغير شكل الكائن لا بد أن يعقبه تغير فى مظاهر نشاطه وخواصه الفسيولوجية العامة ولما كان أثر الميكروب فى الامراض راجع الى مظاهر نشاطه وخواصه الفسيولوجية وكانت هذه مقيدة بشكله أمكننا ان نرى أهمية دورة الميكروبات ثم أهمية تحولها من شكل الى شكل وما قد يترتب من ذلك من النتائج

ونحن ندع الآن هذه الابحاث لنعالج فى عجلة مماثلة مسألة أخرى ولكننا نحجب أن نلفت نظر القارئ الى أن الابحاث المتقدمة ليست من الابحاث الفردية الحديثة انما هي ابحاث اشترك فيها أكثر من باحث وان كنا لم نذكرها رجاء الاختصار وهذه الابحاث قد أصبحت الآن فى حدود المأثور فى علم الميكروبات وهى على ذلك ليست مجرد بدع أو آراء شخصية

ميكروب السل

لعل أهم الاكتشافات التى قام بها العالم الالماني الجليل كوخ هو اكتشاف ميكروب السل ولهذا الميكروب مكان فذ فى عالم الميكروبات مما لفت أنظار الباحثين اليه . ومن غريب الامر اننا نعرف من هذا الميكروب الشيء الكثير على أننا لا نملك علاجاً نوعياً للعرض الذى يسببه وهو السل . ونحن لانقصد الآن الاطاحة بكل ما يمكن معرفته عن هذا الميكروب فذلك أمر لا قبل لنا به فى عجلة كهذه . انما نريد أن نذكر طرفاً من الحقائق المهمة التى سنعتد عليها فى ما يلى من المقال أول هذه الحقائق هو أن ميكروب السل ربما كان العامل المشترك الوحيد بين كل البالغين فى اضرار الجنس البشرى وتقصد بذلك انه لا يوجد على وجه التقريب من البالغين (أي الذين يقرب منهم من العشرين) من لا يحمل فى داخله ميكروبات السل فأنا وأنت وكل البالغين من الناس ذكورا وأناسا تحمل فى جزء أو أجزاء من جسمنا بعض ميكروبات السل الحية . ولست أقصد

بذلك ان الناس جميعا مرضى بداء السل فادعاه كهذا لا يخفى بطلانه على أحد . ولكنى أريد أن أقول ان الابحاث الطبية والتحليل المختلفة التى أجريت على عدد عظيم من الناس أخذوا بطريق الصدفة لعمل احصاء على قد أبدت أن ٩٧ ٪ من البالغين من الناس يحملون فى أجسامهم كمية من ميكروبات السل يمكن التدليل على وجودها واثبات ذلك بطرق مختلفة

لاشك ان القارىء يود من الصميم أن أكون مخطئا فيما تقدم اعتقادا منه ان المسألة على شئ كثير من الخطورة والواقع غير ذلك فالفرق هائل بين احتواء الجسم على عدد يسير من ميكروبات السل لا تكفى لتحقيق الإصابة به وبين أن يكون الانسان مريضا بهذا المرض . ولعله يخفف قليلا من جزعه لو علم أن هذا الميكروب ليس موجودا لحسب فى أجسام كل البالغين بل منتشرا فوق ذلك فى الهواء وهو يدخل أجسامنا ليل نهار مع ما تنتفسه من هواء وما يصحب هذا الهواء من زراب أو غبار ومن العجيب أن نلاحظ أن هذا الميكروب اذا دخل فى الجسم تعذر خروجه منه فهذا فى الواقع أحد القوانين الحيوية المهمة فى الطبيعة مما دعا الكثيرين الى الاعتقاد بان وجوده شرط أساسى للحياة . لقد لاحظ الأطباء انه وان كان من السهل اليسور اخراج الميكروبات على اختلاف أنواعها واجلائها جلاء تاما نهائيا عن الجسم فان ميكروب السل ينقرض بقدرته الخارقة على التطفل والبقاء فى الجسم مهما كانت وسائل مقاومة هذا الأخير فكأنه سكونى الزعة فى الاحتلال يبعث جذوره وينشب أظفاره فى جسم الفريسة بحيث يستحيل عليها التخلص منه . وليس لهذه العملية قيمة ملحوظة أو أى تأثير فى حياتنا المرضية فما دام ميكروب السل منتشرا على النحو الذى قدمناه وما دمنا نستنشقه ليل نهار فان ضلما بقاءه أمر محتوم حتى ولو كان كبقية الميكروبات من السهل اخراجه والتخلص منه ولكن المهم فيما تقدم هو أن نلاحظ أن الجسم يحوى باستمرار فى كل من حالة المرض أو الصحة مقدارا معينا من الميكروبات وهذه الميكروبات وان كانت نجيا فيه حياة خامدة بحيث لا تحقق الإصابة التى تحققها عادة عند ما تكون فى حالة النشاط العادية فانها لاتتأخر عن تحقيق ذلك اذا ضعف الجسم وقلت مقاومته أو حصل فيه أى تغيير ذى بال

نظرية جرثومة

وقصد بها نظرية انطون دى ديبه أحد أساتذة مدرسة مونبيلييه الطبية وواحد من زعماء المدرسة الحيوية التى سبق الاشارة اليها وقد ذهبت هذه النظرية الى أن الاصل فى كل الامراض واحد وهو ما سماه دى ديبه « ميكروزميات » أى الجرثومة المرضية وهذه الجرثومة المرضية موجودة

في كل جسم بل هي حسب نظرية دي ديبه أحد مسكوفاته الاصلية
فالجسم يتكون عادة في نظر دي ديبه من ميكروزيغات طبيعية هي وحدة الحياة وهذه
الميكروزيغات الطبيعية تتحول في حالة المرض الى ميكروزيغات مرضية أى تخالف مرضية ويلاحظ
في هذه النظرية الملاحظات الهامة الآتية :-

«١» يحتوي كل جسم في اعتبار نظرية دي ديبه على مصدر مرضه أو هو بعبارة أخرى يخلق
هذا المرض

«٢» الأصل في كل الامراض واحد وهو هذه الخلية المرضية التي لا تختلف عن الوحدة
الطبيعية في الحياة الا من حيث عملها وبإيجادها المرض وهذا الرأى يتفق والنظرية الميكروبية في
اسناد الامراض الى كائنات حية أو عامل حي له نشاط معين وتختلف عنها في أمرين أولهما توحيد
هذا العامل وانكار نوعيته ثم اسناد مصدره الى الجسم نفسه

ونظرية انطون دي ديبه هذه نظرية جريئة ولكنها الآن تعد من مخلفات عصر امتياز
بتعمقه في الخيال وربما في الابتعاد عن الحقائق الملموسة . وقد عفا الزمن عليها وقضت عليها
أبحاث باستير قضاء ظن أنه لها أي الى أن تجددت الشكوك في النوعية الميكروبية وتوات
الانتقادات الموجهة ضدها . مما أدى الى وضعها من جديد موضع البحث والمناقشة وبما أدى الى
تعديلها تعديلا جوهريا على النحو الذي يبناء فيما قبل وقد دفع ذلك بعض الباحثين الى تجديد
النظر في نظرية دي ديبه فقدموا من جديد الاستاذ باجس أستاذ الطب التجريبي بجامعة مونيخ
ك موضوع للدراسة والبحث وطالجا في محاضرات متعددة موضعا علاقتها بالابحاث الحديثة في
الموضوع وسرى طرفا من ذلك فيما يلي

النظرية الحديثة في الامراض

بينا فيما تقدم أن النوعية الميكروبية لم تعد قادرة على مقاومة ماوجه اليها من انتقادات أدت
الى افلاتها الى نظريات الدرجة الثانية من حيث الاهمية والقيمة . وقد ظهر عندئذ أنه من الضروري
أن نبحث عن نظرية أخرى للامراض لنعتمد النظرية السابقة على النوعية الميكروبية ولقد
ساعدت الابحاث التي ذكرناها في الكلام عن تطور الميكروبات والحقائق التي فصلناها في
الكلام عن ميكروب السل الى توجيه الافكار توجيها خاصا . يشترك في كثير من مجزاته مع
نظرية دي ديبه التي أشرنا اليها آنفا

فنحن نميل الآن الى الاعتقاد بان الدور الذى تلعبه الميكروبات فى الامراض ليس الا دورا ثانويا ونعتقد أن مصدرها الاول هو فى الواقع ما يطرأ على الوسط الداخلى فى الجسم أو ما نعره عنه « بالترية » من تغيير . فنحن نسلم بوجود ميكروب السل فى كل الاجسام ونرى أنه حسب تحول هذا الميكروب الى أى ميكروب آخر أمر ممكن على نحو ما بينت ذلك ابحاث الاستاذ رولان وزوجته وانه يكفى لذلك ألا يتغير الوسط الذى يعيش فيه هذا الميكروب وهذا التغيير يتم بتغيير تربة الجسم أو الوسط الداخلى به فوق انه يقلل من مناعة الجسم ضد الاصابة بالميكروب النتائج وسواء أكان التحول عن طريق التوافق أو عن طريق التغير فان النتيجة واحدة وهى خلق ميكروب جديد فوق هبة الجسم لاستقباله باقلال مقاومته الطبيعية ضده

هناك ابحاث أخرى تتعلق بعلم المناعة تؤيد ما قدمنا ولم يمنعنا عن ذكرها الا خشية الغموض والابهام ورغبة فى الاختصار والتبسيط

ونحن نستنتج مما تقدم نتيجة هامة لها خطرها وهى أن الجسم وما يطرأ عليه من تغيرات هو فى الواقع الاصل فى الامراض وانه لتحقيق هذه الامراض لا يكفى أن توجد الميكروبات اما الوسط الذى يمكن أن تعيش فيه أيضا . وهذا فى الواقع يقرب النظرية المرضية الاولى رأسا على عقب وان كان الفرق بين النظريتين يبدو فى أول الامر ضئيلا . خصوصا اذا تأملنا ما يتبع النظرية الجديدة من اضطراب فى تقسيم الامراض فواضح أن هذه الامراض يجب أن تقسم أولا من حيث علاقتها بميكروب السل ثم من حيث علاقتها بمقاومة الجسم

العبرة

العبرة مما تقدم هى أن الجسم وما يفتابه من تغيرات هما المصدر الاساسى للامراض فان كنا نريد أن نظل أصحاء فعليا اذاً أن نعتنى أشد العناية بصحة أجسامنا وقوتها بالطرق الطبيعية وأن نتجنب بكل الوسائل الممكنة اضعافها أو الخط من قوتها وأن نحذر أشد الحذر من انهاك قواتنا والضغط لأجسامنا واهمالها فذلك هو باب المرض . وعلينا أن نضع نصب أعيننا أن الأمل الوحيد فى فلاحنا ونجاتنا مما قد يصيبنا من الامراض ليس فى الدواء الذى نتعاطاه انما فى قوة أجسامنا وقدرتها على المقاومة

رئيس شحاته

سيكولوجية المعاهدة

للاستاذ سلامه موسى كلمة تحليلية حكيمة قالها منذ بضع سنوات في صدد المفاوضات هي ان المفاوضات قد فشلوا الى الآن في ايجاد حل للخلاف بيننا وبين الانجليز لانهم سموا هذا الخلاف « القضية المصرية » وساروا في المفاوضات على هذا الاعتبار ، ولو جرت المفاوضة على « المسألة المصرية » لوجد الحل وحسم الخلاف

ولقد جرت المفاوضة الاخيرة حول « المسألة المصرية » لا « القضية المصرية » أى كانت مفاوضة عملية بعيدة عن الدعايات الحزبية وطنطنة المرافعات ، وساعد على ذلك ائتلاف الاحزاب في مصر واشتراكها جميعا في المفاوضة والخطر الايطالى الذى نبه أذهان الانجليز والمصريين. ولهذا كملت المفاوضة بالنجاح

وعلى ضوء هذه النظرية يمكننا ان نفهم المعاهدة ونقدرها ونضعها في وضعها الصحيح . فالمفاوضون المصريون لم يأتوا لنا بالاستقلال التام ، ولكنهم لم يفرطوا في شئ من حقوق البلاد . لقد حفظت المعاهدة لمصر كرامتها الوطنية كما القت بزمَام أمورها بين يديها وفسحت الطريق امامها الى الاستقلال التام ، وهى في الوقت نفسه قد طمأنات الانجليز من مخاوفهم وضمنت لهم كافة مصالحهم . هى معاهدة في صالح الطرفين ، معاهدة لا يرفضها مصرى ألا وهو متعنت ولا يرفضها انجليزى ألا وهو متعنت

صلاح الدين كامل

الامتيازات الأجنبية في عهد البطالسة

الامتيازات الأجنبية التي نأمل أن تتخلص منها قريبا — باذن الله — لم تكن أول امتيازات نالها الأجانب في مصر . بل كان لطوائف منهم مركز خاص وامتيازات شتى في مصر في عهودها السابقة . وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي وغناها المشهور وتعرضها لهجرات وغزوات أجنبية عدة . ولقد تمتع الأفريق والمقدونيون وأهل اسيا الصغرى بامتيازات مختلفة في مصر بعد انتصار الاسكندر الاكبر على دولة الفرس ثم شاركهم فيها الرومان — واليهود إلى حد ما — عقب الفتح الروماني وزوال سلطان البطالسة . ثم جاء العرب فقصوا على ما كان للروم من امتيازات في مصر وأصبح الجند العربي يكوّنون طبقة ارسقراطية حاكمة لها السيادة على جميع المصريين ومن بقي معهم من الروم واليهود . ثم انتقلت هذه السيادة لأيدي الترك والشركس . وأخيرا نال الأوروبيون امتيازات شتى في مصر وغيرها من أقطار الشرق الأدنى نتيجة لضغطهم المتواصل على الحكومة العثمانية الضعيفة . ولن يتسع وقتنا للحديث عن الامتيازات الأجنبية في مصر في كل عصورها هذه بل سنقتصر الكلام على عهد البطالسة حسب

« * »

ولم يكن المصريون القدماء يحبون الأجانب أو يميلون إلى الاختلاط بهم وقد شاهد هيرودوتس أن المصريين يحتقرون الأجانب ومنهم الاغريق ويرفعون عن معاشرتهم أو الاتصال بهم . ولكن لم تتمكن المعاقل التي أقامها الفراعنة على حدود بلادهم من صد الأجانب الزاحفين على مصر . واضطر المصريون أن يشركوا معهم في السكنى على ضفاف النيل جماعات من سكان اسيا وجزر بحر ايجة وكذا من سكان شمال افريقيا والنوبة أيضا

والعوامل التي كانت تدفع هؤلاء الاقوام إلى مصر عوامل طبيعية بحتة مثل حدوث قلاقل جنسية في آسيا فنضغت جماعات وسط اسيا على غربها وتقذف ببعض جماعات إلى مصر . أو أن يتسكّثر عدد سكان اقليم من هذه الأقاليم القريبة من مصر وتضيق بهم خيرات بلادهم فيغزّون أرض الفراعنة الخصبية . وهذا العامل الأخير هو الذي اتى بالاغريق إلى مصر . فان طبيعة بلاد اليونان الجبلية الفقيرة المحدودة الموارد تلزم بعض سكانها الذين يتزايد عددهم أن يهاجروا إلى الخارج . وشجع الاهالي على التحاطرة مهارتهم البحرية وكثرة الجزائر القريبة من شواطئهم وأدت

هذه العوامل إلى انتشار العنصر الاغريقى على طول سواحل البحر الاسود والاناطول وإيطاليا والرفير أو جزر البحر الابيض

وجاء الاغريق إلى مصر في عهد الدولة الحديثة ، وقد رحب الفراعنة بهم لأنهم كانوا في ذلك الوقت في أشد الحاجة إلى جنود مرتزقة لمحاربة الحيثيين ثم البابليين فالاشوريين . فكثروا وفود الاغريق إلى مصر للعمل في جيوشها أو تجارتها وصناعاتها . ولما ظهرت دولة الفرس وهددت سلامة مصر وبلاد الاغريق زاد ارتباط هذين الشعبين وجمع بينهما العدو المشترك وأصبح لاغنى للمصريين عن حلفائهم الاغريق إذ بدونهم لا يقدرّون على صد غزوات الفرس . وتحت تأثير هذه الاحوال السياسية الجديدة أصبح للاغريق نفوذ كبير — لم يكن لهم من قبل — في الحكومة المصرية . ونالوا امتيازات تجارية شتى أهمها انشاء مدينة نوكراتيس في غرب الدلتا وهى عبارة عن مستعمرة اغريقية بحمة من حيث سكانها وحكومتها ونظمها ولغتها وديانها . ولم يكن في هذه الامتيازات اعتداء كبير على حقوق المصريين إذ أنها كانت تطبق في بقعة ضيقة محدودة جميع سكانها من الاغريق واتصالهم بالمصريين لا يتعدى المبادلات التجارية . ويجب ألا ننسى أن هذه الامتيازات كانت نافعة للمصريين والاغريق على حد سواء إذ أنها مكنت المصريين من المتاجرة مع الاغريق وغيرهم من شعوب البحر الابيض فزادت موارد الحكومة المصرية . كما أنها ساعدت ملك مصر على ايجاد جنود مرتزقة لمحاربة الفرس والدفاع عن استقلال البلاد . وقد ساعد هؤلاء الاغريق المصريين في ثورتهم ضد الفرس

لم يتضرر المصريون من الاغريق بسبب هذه الامتيازات بل جاء الضرر من اتساع نطاق الامتيازات وخروجها عما وضعت له أى في عهد البطالمة عند ما أصبح الاغريق يحكمون البلاد . وذلك بعد انتصار الاسكندر على الفرس وفتح مصر عام ٣٣٢ ق. م . ولقد أظهر الاسكندر احتراماً عظيماً نحو آلهة مصر وعظماً على المصريين . فترك أمر حكومتهم في يد حكام منهم ولكنه أقام حاكم مقدونيا ليشرّف على هؤلاء الحكام الوطنيين وبجانبه حامية من الجيش المقدونى وغداة وفاة الاسكندر في يونيو سنة ٣٢٣ ق. م . اجتمع قواده في بابل ليقسموا امبراطوريته العظيمة . فكانت مصر من نصيب بطليموس بن لاجوس الذى أسرع بالحضور إلى مقر ولايته ليحكمها باسم خلفاء الاسكندر

لقد اختط بطليموس الأول لنفسه سياسة سار على نهجها كما اتبعها خلفاؤه من بعده في حكمهم لمصر وترى هذه السياسة إلى إنشاء مملكة مستقلة قوية وغنية في مصر يتوارث صولجانها البطالمة وتحقيق هذا يتطلب جيوشاً واساطيل قوية لصد هجمات من يحاول الاعتداء على استقلال مصر تحت ستار الاحتفاظ بوحدة امبراطورية الاسكندر . ولامتلاك الملحقات الطبيعية الضرورية للدفاع

عن مصر وأعنى سوريا ويونان . وكذلك تتطلب أن تكون لمصر السيادة البحرية في البحر الأبيض وأن تخضع لها الجزر الواقعة في طريق تجارتها البحرية . وكذلك لابد من استتباب الأمن في داخل البلاد وتنظيم استثمار مواردها الطبيعية وتوافر رهوس الاموال اللازمة لنجاح هذا الاستقلال وهذه التجارة الخارجية الواسعة . حتى تتوافر لدى البطالسة الاموال التي تتطلبها نفقات الجيوش والاساطيل الباهظة

حقا إن مصر قد منحت البطالسة موقعا جغرافيا يتوسط العالم وتجارة واسعة وتربة خصبة وخيرات كثيرة وتاريخا قديما مجيدا . إلا أنها لم تمنحهم جيوشا من أنبائها تستطيع أن تقف أمام جيوش منافسى البطالسة أمثال سيلوكس أو انطيوخس وغيرها من قواد الاسكندر . وكذلك لم يكن البطالسة ليأمنوا عواقب استخدام المصريين في الجيش أو في مناصب الحكم العليا وخاصة لأن المصريين كانوا يكرهون البطالسه ويعتبرونهم أجانب متعصين

إذن فالبطالسة كانوا في حاجة قصوى إلى الاغريق والمقدونيين لتكوين جيوشهم وتشديد اساطيلهم والاشراف على حكم البلاد واستغلال رهوس الاموال الاغريقية في استثمار موارد مصر الزراعيه والصناعيه

ولذا رأى البطالسة أن يجذبوا إلى مصر أكبر عدد من الاغريق والمقدونيين والاسيويين وذلك بمنحهم امتيازات مغرية فجعلوا اللغة الاغريقية لغة الحكومة وتقاليد البلاط وعاداته إغريقية بحته وحاولوا التوفيق بين الديانة المصرية والديانة الاغريقية : أقاموا عبادة جديدة لثالوث مكون من آلهة مصرية واغريقية . أى أنهم أحلوا الحضارة الاغريقية محل الحضارة الفرعونية القديمة . وذلك كي لا يشعر الاغريق في مصر بأنهم غرباء

وقضى البطالسة على ما كان للاستقرائية المصرية من امتيازات وأقاموا أرستقراطية من المقدونيين والاغريق وأضعفوا عليهم امتيازات شتى . فكان المقدونيون يكونون ارستقراطية الجيش والبلاط ولهم حق الموافقة على تنصيب الملك . وكان ينتخب منهم ومن الاغريق كبار موظفي الحكومة والقضاة ورجال الدين وضباط الجيش والاسطول . وكانوا يعفون من السخرة ومن أداء بعض الضرائب . وكان اليهود يتمتعون بحرية العبادة وبدستور وقوانين خاصة بهم يقوم بتطبيقها عليهم رجال منهم ويعفون من السخرة وكذلك كانت حال الفرس والسوريين

أما ملايين المصريين فكانوا يعيشون كما عاش أجدادهم مل قبل وكما يعيش أحفادهم الآن يزرعون الأرض ويعملون في الصناعات اليدوية ومحترمون الأجانب ويعيشون غرباء عن بلادهم لاحقوق لهم ولا امتيازات

وكان الاغريق يعيشون في المدن الاغريقية مثل الاسكندرية وقرى القيوم أو في إحياء خاصة بهم في المدن المصرية مثل منفيس وطيبه . وكانوا في هذه أو تلك يتمتعون بنظم وتقاليد بلادهم

فهم دساتير ومجالس نيابية ديمقراطية على نهج دساتير المدن الأغريقية الحرة . ويتنقون بالآداب الأغريقية ككتابات أفلاطون وغيره . ويتغنون بأناشيد هومر كما أنشئت لهم مسارح ونوادي رياضية ومعابد علمية على نهج الجنائزيا المعروفة في بلاد الاغريق

كان البطالسة يعتبرون مصر ضيعة لهم بحق الفتح وحق الملك الالهى ولذا ادعوا ملكية جميع أراضيها الزراعية . وكانوا يوزعونها على الاغريق ليشرفوا على تسخير المصريين في زرعها مقابل أجور ضئيلة . يؤدوا للملك الضرائب المقررة عليها . ولقد اهتم الاغريق ببناء الجسور وشق الطرق فزادت مساحة الأراضي المزروعة كما أدخلوا الى مصر بعض زراعات جديدة من بلادهم كزراعة الكروم والزيتون وأشجار الفاكهة . ولكن المصريين لم يستفيدوا شيئا من ذلك اذ كان الخير كله قائدا على الاغريق . كذلك اهتم البطالسة بالصناعة واحتكروا عدة صناعات ونظموها تحت اشراف رجال من الاغريق وخاصة صناعات الزيوت والمنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية والخزف والورق والمعادن والاحجار والخور والصياغة والحلي والمطور . كذلك اهتموا بالطرق التجارية واحتكروا التجارة الخارجية ونظموها تحت اشراف رجال من الاغريق أيضا

وكان البطالسة يمنحون جنودهم اقطاعات في القيوم بدل الرواتب . فكان اقطاع الجندي الاغريق عشرة أضعاف اقطاع زميله المصري . اذ كان اقطاع الجندي الاغريق يتراوح بين ٣٠ و ١٠٠ درره (٢٧٥٦ م ٢) بينما كان اقطاع الجندي المصري يتراوح بين ٥ و ٧ دررات . أما الضباط وكلهم من الاغريق فكان يتراوح اقطاع الواحد منهم بين ١٥٤ و ٣٤٢ درره . وكان الجنود الاغريق يتسلحون بالأسلحة الحديثة أما الجنود المصريون فكانوا يتسلحون بالأسلحة العتيقة البالية الغير الصالحة للاستعمال . وكانوا يعتبرون كرهيف للجنود الاغريق . وكانت مهمتهم مقصورة على خدمة الجنود الاغريق وحمل أمتعتهم ونقل معداتهم . وكذلك كان المصريون يقومون بالتجديف في سفن الاسطول . غير أن الوثائق لم تذكر لنا اسم أى مصرى ترقى حتى صار ضابطا في الجيش أو في الاسطول . فهذه الوظائف كانت وقفا على الاجانب الذين كان منهم أيضا جميع كبار الموظفين وحكام المديريات والمدن وضباط البوليس كما كانت في أيديهم مرافق البلاد الاقتصادية فهم الذين يشرفون على المزارع والمصانع والتجارة الخارجية . وكانوا يعاملون انصريين الذين يعملون تحت ادارتهم معاملة قاسية . وتذكر لنا الوثائق أنه كان يسكن أن يعتبر مدير مصنع ما أية ملاحظة أو اشارة صادرة من أحد عمال المصنع جارحة لكرامته فيجر هذا العامل في الشوارع ثم يشق علانية دون أي عناء

وكان المصريون يحاكمون أمام قضاة من المصريين بمقتضى القوانين المصرية أما الاغريق فكانوا يحاكمون أمام محاكم اغريقية وتطبق عليهم قوانين بلادهم . . كان هناك أيضا محاكم مختلطة للفصل في

القضايا التي يكون الخصوم فيها من جنسيات مختلفة . وكان قضاء هذه المحاكم من المصريين والاغريق وتذكر لنا الوثائق أن القضاء الاغريق كانوا يميلون الى الاعتداء على حقوق القضاء المصريين وخاصة بما يتعلق بلغة المحاكمة وكثرت المنازعات بين القريين حتى أصدر بطليموس السابع مرسوما قرر فيه أن تكون المحاكمة بنفس اللغة التي تقدم بها عريضة الدعوى

والخلاصة أن سكان مصر الذين كان يبلغ عددهم نحو ثمانية ملايين نسمة كانوا ينقسمون الى طبقتين منفصلتين عن بعضهما تمام الانفصال : طبقة عليا مكونة من الاغريق الذين كانوا يحكمون البلاد والذين كانوا يعتقدون أنهم أهل حضارة دونها الحضارات الأخرى . والذين كانوا يعيشون في أوساط خاصة بهم ويحيون حياتهم التي اعتادوها في بلادهم . وطبقة سفلى مكونة من المصريين الذين كانوا عبيداً للأجنبي والذين احتفظوا بعوائدهم وتقاليدهم وكانت كل طبقة تحتقر الأخرى وتكره الاختلاط بها أو التزاوج معها حتى أن بعض المدن الاغريقية وخاصة نوكراتيس حرمت زواج الاغريق بالمصريات

كان المصريون يشعرون بأن كرامتهم سلبت وخيرات بلادهم نُهبت وأنهم صاروا غريباء في بيوتهم ولكنهم لم يجرأوا على الاحتجاج لخوفهم من بطش عدوهم وعدم ثقتهم بأنفسهم ولكنهم لم ينسوا مجدهم القديم . فصبروا على بلائهم ينتظرون فرصة مناسبة فطردوا الاغريق كما طرد أجدادهم المحكموس من قبل . وقد جاءت هذه الفرصة في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد اذ تمكن انطيوخس ملك بابل أن يهزم جيوش بطليموس الرابع عام ٢١٩ ق.م أمام سلفسيا . ثم استولى على معظم سوريا التي كانت من أملاك مصر وكان ملوك بابل يتطلعون الى امتلاكها من قبل ولكن حالت دون ذلك جيوش مصر . ولقد تملك الجزع رجال الحكومة في الاسكندرية وخاصة عند ما بلغهم أن انطيوخس قد زحف على مصر ورأوا أن الظروف الحالية تضطرهم إلى تجنيد جيش من ٢٠ ألف مصري وكذا بضع كتائب من الفرسان المصريين . وفي ١٧ يونيو عام ٢١٧ ق.م تقابل بطليموس الرابع بجيوشه المصرية مع جيوش انطيوخس عند رفح سفح الصحراء فانهمز انطيوخس هزيمة منكرة واسترد بالاموس سوريا أي أن المصريين انتصروا حيث انهزم الاغريق

فوقعة رفح هذه أعادت إلى المصريين ثقتهم بأنفسهم وعلموا أن اليوم قد حان للتخلص من رق العبودية فاندلع لبيب الثورة في مصر الوسطى والحد لنا وامتد إلى الصعيد بزعامة هرمخيس وغيره ولم تضع الثورة أوزارها إلا عند ما خرب بطليموس العاشر في عام ٨٨ ق.م . مدينة طيبة التي كانت دائما مهد الثورة ومقلد النافرين

ولقد ضاقت هذه الثورات البطالسة أشد المضايقة لأنها شغلهم عن محاربة ملوك بابل الذين

تمكنوا في عام ١٩٦ من الاستيلاء على جميع أملاك البطالمة في سوريا وأسيا الصغرى ثم غزا أنطيوخس في عام ١٦٨ مصر وحاصر الاسكندرية ولم يرجعه عن فتحها إلا تدخل روما إلى جانب بطليموس السادس

تحت ضغط هذه الثورات وهذه الأخطار الخارجية رأي البطالمة أن يختطوا لأنفسهم سياسة جديدة ، فيحسنون معاملة المصريين ويتقنونهم ويتحببون اليهم ويمنحونهم بعض الامتيازات التي يتمتع الاغريق بها . فصار الملك يتوج في منفيس عاصمة الفرعنة طبة للتقاليد المصرية القديمة وزاد البطالمة في أملاك وتقوذ رجال الدين المصريين وكفوا عن منح الاغريق امتيازات جديدة وتعاملوا بالنقود المصرية النحاسية وأحلوا التقويم المصري محل التقويم المقدوني . وأحيوا طبقة المحاربين المصريين وزادوا في مساحة اقطاعاتهم كما أنهم نقصوا مساحة اقطاعات الاغريق ولكن الي أن سقطت دولة البطالمة بقي الاغريق يتمتعون باقطاعات أكبر من اقطاعات المصريين . وقلدوا المصريين بعض المناصب الكبرى في الادارة والجيش واتصر كما أنهم منعوا القضاة الاغريق من الاعتداء على حقوق القضاة المصريين

والخلاصة أن البطالمة بعد موقعه رفع تقربوا إلى المصريين ومنحهم بعض الامتيازات التي كانت للاغريق ولكنهم لم يساووهم بهم ولم تلغ امتيازات الاغريق كلها بل خففت نوعا ما . حتى لا يتضرر المصريون منها

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

« * »

والآن يصح أن تقارن امتيازات الأجانب في عهد البطالمة بامتيازاتهم الحالية :

فهما تتشابهان من حيث تاريخهما . فالامتيازات القديمة منحت رسميا عند محالفة المصريين للاغريق ضد الفرس والامتيازات الحالية منحت رسميا عقب محالفة السلطان سليمان لفرنسا الأولى ملك فرنسا عام ١٥٣٦ ضد النمسا

والامتيازات الأولى كانت في أول الأمر تجارية بمحة وكذلك كانت الامتيازات الحالية في أول الامر . ولم يكن فيها أى اعتداء على حقوق رعايا السلطان إذ أن الاجانب كانوا يعيشون في منازل مقببة في المواقي وكانت تعرف بيوتهم هذه بالفنادق ولكن الضرر جاء في الحالتين من التوسع في هذه الامتيازات ونتيجة لزيادة قوة الشعوب صاحبة الامتيازات

وكذلك لم تلغ هذه الامتيازات في كلتا الحالتين إلا تحت ضغط الثورات والاضطراب الدولية الخارجية . وتختلف الامتيازات القديمة عن الامتيازات الحديثة في تفاصيلها ونظمها وكذلك هناك وجه اختلاف قوى بين الاثنين فالأولى لم تلغ بل خففت أما الامتيازات الحالية فتمتلى جميعا

اوراق الحريف

لميخائيل نعيمة

تناثري تناثري يا بهجة النظر
يا مرقص الشمس ويا أرجوحة القمر
يا أرغن الليل ويا فينارة السحرة
يا رمز فكر حائر ورمم روح ناثر
يا ذكر محمد فاير قد عافك الشجر

تناثري . تناثري

تعاثي وعاني أشباح ما مضى
وزودي أنظارك من طلعة النضا
هيهات أن هيهات أن يمود ما انقضى
وبعد أن تفارقي أتراب عهد سابق
سيري بقلب خافق في موكب النضا
تعاثي . تعاثي

سيري ولا تعاثي لا ينفع العتاب
ولا تلومي الغصن والراح والسحاب
فهي اذا خاطبتها لا تحسن الجواب
والدهر ذو العجائب وباعث النوائب
وخائق الرغائب لا يفهم الخطاب

غامثي ولا تعاثي

عودي الى حضن الثرى وجددي العمود
وانسى جلالا قد ذوى ما كان لن يعود
كم أزهرت من قبلك وكم ذوت ورود
فلا تخافي ماجري ولا تلومي القدرا
من قد أضاع جوهره يلقاه في اللحد

عودي الى حضن الثرى

الكتابة بالنص

حدثت أذاعه الأستاذ اسماعيل
شوقي مصحح « مطبعة مصر » الفني
في مساء ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٦ .
وهو الفصل الاول من كتابه « لحة في
تاريخ الكتابة والطباعة »

لقد كانت الزراعة أول الأعمال المدنية العظمى التى ربطت الانسان بالأرض ، وجعلته يستقر بعد أن كان رحالة متنقلا ، إذ نتج عن ذلك الاستقرار أن رغب الناس عن التنقل وراء شوارد الرزق ، فنظموا الجهود وأنشعوا رزقا موفورا مضمونا في أوقات محدودة . ولذا كانت وديان الأنهار مهيأا للمدنات الأولى ، وكان وادى النيل مشرقا لأول نور لاح في التاريخ

ولما كان الماء أهم عوامل ذلك الانتاج المنظم ، فقد عني المصريون بحفر الجداول التى تعتمد المياه من النيل ، فتسير في نواحي الوادى حاملة وفرة الخبز والبركة . وكان هناك زعماء يقدمون على حفر هذه الجداول ، ويتمدون بها حتى تظل صالحة ، ويحتفون منها الجديد الذي تطلبه الحاجة وكان هؤلاء الحكام يتقاضون ضرائب من الحبوب والكتان عن هذه المساحة التى كانوا يكفلون لها الماء . وكان معقولا أن يسجل الفلاح المصرى هذه الضرائب التى كان يعتبرها ديناً في عنقه ، يؤديه أو يناله شر الجاه ، حتى يحصر ما دفع ، وحتى لا تأخذ الدفعة الثانية بغتة ، وحتى لا ينزل به عقاب حفر الماء عنه

والطريقة البدائية لتسجيل المعاني هي الرسم والتصوير ، وهى نفس ما يتبعه الأطفال لو أرادوا تسجيل معنى من المعاني ، ونفس ما اتبعه الانسان في طقوسه الدينية . وهكذا بدأ المصرى القديم يخطط على جدران بيته علامات تدل على المسكايل والجرار التى تقاضاها الحاكم منه ، ومتى تقاضاها ، ومتى سيطالب بالدفعة الأخرى . وهذه الجرار أو المسكايل التى بدأ يرسمها ، وهذه الالهة التى كان يعبر بها عن الشهور القمرية ، تعتبر نواة للكتابة بالصور . التى مارسها فيما بعد على صورة أرقى والتي لا يزال يمارسها الهنود الحمر في أمريكا

ولم تكن تلك الصور تعبر عن ألفاظه بالذات ، ولكنها تعبر عن معانٍ ولقائره أن يعبر عنها بأى لفظ أراد . فإذا رأى خمس جرار مرسومة ومعها أربعة أهلة فله أن يقول : « دفعت خمسة

مكايل وتحمل الأخرى، بعد أربعة شهور « أو : « تقاضى منى الحاكم خمس جرار وموعد الأخرى بعد أربعة أهلة » إلى غير ذلك من الطرق المختلفة للتعبير عن هذا المعنى الواحد ، دون أن توحد الألفاظ التى تعبر عنه . فكلما أراد شخص أن يسجل شيئاً لنفسه يرمز الرمز الذي يناسبه ، ثم بطول الممارسة وبتكرار تسجيل المعانى ليقراها الآخرون صار هناك رموز متفق عليها تنطق فطقاً واحداً ، أى انه صار للصورة قيمة لفظية أو صوتية ، أو قل إنها قد صارت تشبه العلامة من علامات النوتة الموسيقية ، أو الصورة الخاصة قد صارت قد تستدعى مخارج صوتية خاصة — حتى تقرأ . ومع أن هذه كانت خطوة عظيمة فى طريق تعلم الكتابة ، إلا أن نقصها انه يجب أن يكون هناك عدد من الرموز يساوى عدد ما فى اللغة المكتوبة من كلمات ، وهذه هى الطريقة التى يتبعها الصينيون حتى الآن

ولما لم تكن كل الأشياء سهلة التصوير وكان من المتعذر تسجيل بعض المعانى بالصور ، فقد عمدوا الى طريقة تذلل بعض هذه الصعوبة ، ذلك أن الكلمة ذات المعنى الذى يصعب تصويره ، وتتنق فى اللفظ مع كلمة أخرى يسهل تسجيل معناها بالتصوير — كانوا يضعون الشانية بدل الأولى ، وينطق القارئ اللفظ ويستوي سياق الكلام واطاراده على أى المعنيين أراد الكاتب ، لكننا نرى أن مجال التسهيل من هذا السبيل لم يكن متسعاً أيضاً ، فليس كثير من المعانى متفقا فى اللفظ مع أشياء مادية يسهل تسجيل صورتها بالرسوم ، وهكذا لم يكن هذا اختصاراً

وتلت ذلك خطوة أخرى ، وهى أن كثيراً من الألفاظ ذات المقطع الواحد ، أو المقاطع الأولى من ألفاظ مركبة من أكثر من مقطع واحد اتخذت رموزها لتسجيل مقاطع من الكلمة دون أن تحتاج الكلمة كلها لرمز ، فقلل ذلك عدد الرموز من عدة آلاف إلى بضع مئات ، إذ أن كلمات أية لغة تتكون من عدد من المقاطع أقل بكثير من عدد الكلمات لأن المقطع الواحد يشترك فى كثير من الكلمات ، وكانت هذه هى الطريقة التى ظل يتبعها الآشوريون والبابليون فى كتاباتهم المجرارية . وبالرغم من أن طريقة الرموز التى تمثل مقاطع صوتية كانت فتحاً عظيماً فإنها كانت لا تزال أداة معقدة لتسجيل المعانى ، ذلك لأن فى المقاطع مخارج صوتية مشتركة

الحروف الهجائية

أجمع المصريون فى تحليل المقاطع الصوتية إلى عناصر الصوت الاصلية التى يشكون منها ، وجعلوا لكل عنصر رمزاً ، فقللت الرموز وأصبحت مقصورة على مخارج حروف اللغة ، ولا تنيف هذه فى لغة من اللغات على الثلاثين بكثير . ورمزوا لكل مخرج من هذه المخارج أو عنصر من هذه

العناصر في أول الامر بصورة شيء مادي يبدأ أول حروفه بهذا الحرج ، وأخذ التيفينيون عنهم هذه الفكرة ، فكانوا يقرأون حروفهم الهجائية كما لو قرأ نحن حروفنا فنقول : « أرنب ، بطة ، تمساح ، ثعبان ، جل . . . » وهكذا صارت عندهم مجموعة من الرموز التي تمثل الاصوات التي تتكون منها لغتهم ، وأمكنهم بذلك أن يعبروا عن المعنويات التي لم يكن ممكنا أن يسجلوا ألقاظها ولما كانت العناصر الصوتية محدودة محصورة متعارف على صورتها وأن تكتب كل الكلمات سواء أكانت مادية أو معنوية ، وإلى هذا النوع من الكتابة أشار أين الحاجب في « الشافية » حيث قال : « الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه ، أي بحروفه التي تتركب منها »

وتعتبر قدرة المصري على تسجيل الاصوات هكذا أكبر فتح ذهني وفق له البشر

كتابة قدماء المصريين

شرحنا ما قام به المصريون حتى اخترعوا الكتابة ، ولنتكلم الآن عن الادوار التي مرت بها الكتابة عندهم في شيء من الوضوح

استعمل المصريون في أول عهدهم الصور والرموز ذات الدلالة المعنوية وكان يفهم منها المعنى ويعبر عنه القارئ بأى لفظ أراد . ثم وجد اللفظ لكل رمز من الرموز فصارت للرموز قيمة صوتية . ثم رسم الرمز مراداً به لفظه ودون أن يكون للمعناه الاصل صلة بمعناه الذي يقتضيه سياق الكلام . ثم رمز لمقاطع صوتية بصور ورموز كانت تبلغ بضع مئات . ثم حلت المقاطع الى أربعة وعشرين حرفاً كانت كافية لتسجيل لغة المصريين القدماء ، وكانت تمثل الحروف الصحيحة فقط ، إذ لم يكن المصريون يسجلون الحركات كما يفعل الاوريون الآن . ولم يسجلوا حروف اللين كما تفعل في العربية غير انهم جعلوا حروف اللين تلى المد المشعب فيما بعد . كما تفعل نحن الآن في العربية تماماً

وليس معنى ذلك التقسيم انه يمكن وضع حدود دقيقة لكل دور تفصله عن الدور الذي سبقه ولكن الواقع بأن هذه الادوار كانت متداخلة في بعضها حتى إنهم وهم في ذروة اكتشافهم العظيم ، حين استعملهم الحروف الهجائية كانوا يرسمون معها صوراً لها دلالات معنوية وليست لها قيمة لفظية

وقد كان المصريون يسجلون كتابتهم هذه على الحجر . فان الحفارين يعنون بجعل الصور محتفظة بروقتها . غير انهم ابتكروا فيما بعد أداة أسهل تناولا وأكثر تلبية لما تتطلبه السرعة . فصنعوا صبغا أو مدادا يحمل الصمغ النباتي في الماء ثم خلط السناج الذي يملو سطح الاواني المعرضة

لنار بذلك المحلول الكثيف . وبنفس قسبة مبرية في ذلك الصبغ أمكنهم أن يكتبوا بسهولة . وكانوا يكتبون بهذه المادة على العظم والخشب وقطع الفخار ولكنهم اهتمدوا فيما بعد لاستعمال البردى كمادة يكتبون عليها

وقد صيرت هذه المواد الكتابة حاجة من مستلزمات الحياة اليومية . فبعد أن كان السكينة وحدهم هم أرباب الكتابة . وتنسب الكتابة إلى الآلهة . صارت عملا يوميا يحتاج اليه كثيرا ويقوم به كثيرون . وقد كاز . نتيجة ذلك أن الصور أصبحت ترمس في غير العناية الاولى لما كان يستلزمه الطور الجديد من عجلة وسرعة . فتفرع عن الهيروغليفية « النقوش المقدسة » قلم دارج آخر عرف بالهيراطيقى اختصرت فيه الصور . ومعظم أوراق البردى بين أيدينا اليوم مكتوبة بهذا القلم . ثم أمعنوا في السرعة نتيجة لما تطلبتة الاعمال والمدنية من كثرة الكتابة وما يقتضيه ذلك من الاختصار والاختزال . حتى كان عندهم في القرن الثامن قبل الميلاد قلم يسمى بالديموتيقى . اذ أن لفظ « ديمو » يقابل في اليونانية معنى الشعب . وكانت هذه كتابة الشعب

الفينيقيون والآراميون ينشرون الكتابة

إن كانت أرض مصر ترحب بأبنائها وتغريهم بالاقامة فإن طبيعة بلاد الفينيقيين هي التي جعلتهم قوم تنقل ورحلة . فقلة خيراتها جعلت أهلها لا يطيقون بها مكثا ، ولما كانت سهلا ساحليا ضيقا يحصره من الجهات الأخرى جبال شامخة يكسو سفوحها غابات الأزرق ، لم يفكروا إلا في اتخاذ البحر متنفسا لضيقهم فصنعوا السفن وأجادوا صنعها ونزلوا إلى البحر . وكان البحر مما يليهم يرحب بهم ، لأنه لم يكن بالمعيق الذي يخيف حديثي العهد بالملاحة ولم يكن شاقا إذ كان به كثير من الجزر مما يجعل الملاح المبتدئ يطمن

نزل الفينيقيون إلى البحر المتوسط بين مدنيات عريقة في القدم وأخرى كانت ناشئة فتية وثالثة كانت تختمر ، وتحتاج كل منها لعناصر من الأخرى . فتحتاج هذه لعناصر النشاط ، وتلك لثراث الأقدمين حتى تبعته نشيطا فتيا ، والأخرى لتلقيح ومد بأسباب الحياة . فتنتقل الفينيقيون بين هذه الأمم يتجرون بخيراتها ويقتبسون منها ما يحتاجون اليه ويعطون منه لتلك الأمم المتطلعة الفتية

ولما كان الفينيقيون تجارا فقد كانوا أخرج من غيرهم للكتابة ، فأخذوا عن المصريين كتابتهم وحوروها إلى ما تقتضيه عجلة التاجر وضيق وقته ، فأعروا منذ القرن الثاني عشر قبل المسيح عن كتابة البابليين وألواحهم الطينية وفكرة لتجبل المقاطع وأخذوا يستوردون البردى من مصر ويكتبون عليه بالحبر والقلم

وأخذوا عن المصريين فكرة الحروف الهجائية التي تسجل عناصر الصوت ورمزوا لها باثنين وعشرين حرفاً كانت تكفي لتسجيل لغتهم ومحوها بأشياء تبدأ أسماؤها بهذه الحروف ، ورتبوها على تنابع معين ، فسهل استظهارها ، فكانوا يقولون . « ألف ، بيت ، جل ، والت . . » ويعنون « نور في بيت » جل ، باب » ، ولم يكن في حروفهم ما يسجل الحركات أو حروف اللين

ونقل الفينيقيون فكرة هذه الحروف إلى أمم البحر الأبيض جميعها ، وقد كان الاغريق المتقدمون حيناً يتجمعون حول سفنهم يظنون الظنون بتلك العلامات السوداء التي كانوا يحدونها بالرقاع الصفراء الباهتة ، ظنوها تعاويذ وسحراً ، لكنهم لم يلبثوا أن تعلموها ، فأخذوا يكتبون بها الكلمات الاغريقية ، وكان ذلك النواة الاولى لحضارة الاغريق التي ظهرت بعد ذلك وبهرت الانظار

وقد لاحظ الاغريق انه لم يكن في الاحرف الفينيقية ما يمثل حروف اللين ولاحظوا أيضا انه كان في لغة الفينيقيين مخارج لحروف غير موجودة في لغتهم فاستعملوا صورها لتسجيل حروف اللين عندهم وبدأ الاغريق يسجلون بها كبرياتهم الفهنية على أوانيهم وأوعيتهم ، ولم يلبثوا أن يحلوا آثارهم الادبية التي كانت الاسلح لا تزال تنقلها جيلا عن جيل ، وخلفوا لنا ذلك التراث الهائل الذي كان بعنه في أوروبا في عصر النهضة بعنا للدين من جديد

ونقل الفينيقيون إلى أوروبا مع الحروف الهجائية الورق والخبر والقلم ، وعن الاغريق أخذها الرومان وعطاها الرومان الشعوب الجرمانية فانتشرت وامت حتى لم يحل دون انتشارها الا جد الشمال — وهكذا علمت مصر الغرب كيف يكتب ومهما أظننا فلسنا بموفين هذه الهدية حقها من الاطراء ، فقد أجمع النقات على أنه لم يكن ممكنا بدونها للشعوب التي تتكلم الآرية أن تحرز ما حرزته من تقدم أو رقي أو فلاح ، اذ انهم حتى يوم أخذوها لقمة سائغة لم يكن عندهم أي أثر يعد نواة لفكرة الكتابة

وكان الآراميون في مفترق طرق العالم المتمددين في زمنهم . فجعلهم مركزهم هذا تجارا . فانحدروا بمجوب النياقي وجاست قواقلهم بين امم ذلك الحين تحمل أدوات الحضارة التي اكتسبوها من الفينيقيين والمصريين وهي الحروف الهجائية والبردي والخبر والقلم . فعمت آسيا الغربية جميعها وطلعت على المسجارية وانتشرت مما يلي القرات الى بلاد فارس وآسيا الوسطى حيث عبرت حدود الهند وبذلك — لو استثنينا الحروف الصينية — فانه يمكن نسبة كل الحروف الهجائية التي يستعملها العالم الآن الى الحروف التي ابتكرها آباؤنا منذ آلاف السنين

اسماعيل شوقي

مطبعة مصر

على هامش الحياة

لو عاد موسى ، ويوذا ، والمسيح ، وعبد ، ورأوا . ماحل بمبادئهم من التحريف ، وما علق بأقوالهم من أدران الهوان ، وما تراكم على جواهرها من ركام التعصب ، والامتهان ، لبكوا جزءا ولتبرأوا من هذه الأديان . ولآثروا أن يولدوا في يوم واحد ليتفقوا على نشر رسالة واحدة . ولقنعوا على الكثير من رؤساء الأديان بالحرق وبئس المصير

* * *

يطلب الرجل الشهرة ، والعلم ، والمال ، والسيادة . ويريد أن يتمم قلبه بالمرأة أما المرأة فتطلب عن ذلك كله الرجل وحده . وللرجل تحيا ، ومن أجله تفضل كل شيء

* * *

ثلاث مواقف يتحطم فيها قلب صاحب الأحساس النبيل

ا - يوم يطلع على خيانة أخ أو صديق !

ب - عندما يسبب نكبة لانسان

ج - حينما يضطر لمسألة اللثام

* * *

عار علينا أن ندعى الرقي والمدنية ، والاستقلال . ونحن نشاهد شيخاً واحداً تظهر على وجهه علامات البؤس ومذلة الفقر

* * *

آمالنا هي التي تولد لنا مرارة النفس وسوداء الحياة . ومطامعنا هي التي تذلنا وتستعبد نفوسنا . واليأس فيه السعادة ولكنه رمز القناء

* * *

عند ما يصبح الموظف شاكياً سوء حاله ، فاعلم انه انما يندب حريته التي أضعافها وقبض ثمنها تقوداً . فالحرية أثمن من الحياة ذاتها . . .

* * *

ألا يجب علينا أن نتأمل في مذهب النشوء والارتقاء ونحن نشاهد بشراً يشبهون البق في سماء جنتهم ، والكلاب في تذبذبهم ، والقرود في ثمرهم . . .

* * *

بعض الناس لولا تقوُّدِهم ، لآتقت الحياة من أن تضمهم في عداد حميرها ! ...

* * *

أخفقت البشرية في حل مشاكلها لأنها أخضعت كل شيء لحيوانية السياسة !

* * *

في الثقة جمال الحياة وإن كانت أصل النكبات . واتهام الناس بلا بينة جريمة وإن كان الشاعر يعدده من حمن القطن ! ...

* * *

يحسب الكثيرون الحياة حلمًا ، والحب خيالًا ويكرهون الحياة حقيقة عارية ويهربون من الحب إذا أراد أن يربطهم بامرأة مهما تكن سامية ! ...

* * *

تستطيع أن تنال عطف كل حماة بشرط أن تظمن شرف ابنتها ! ...

* * *

إذا تماهلت المرأة بالنيل من شرف زوجها فاعلم أنها لا تتورع أن تبذل نفسها ! ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويل للحياة العائلية إذا فقدت العطف والتضحية

* * *

في الشيوعية لعنة الحياة ، وفي الدكتاتورية امتنانها ! ..

* * *

لبعض الرجال تقسية الوحش . إذا ابتسمت له المرأة عدوها بغياً ، وإذا أعرضت عنه عدوها حيواناً وفي الحالين لا يتورع عن أن يهدم سمعتها !

* * *

أصل الحب غريزة جنسية هذبها الأجيال . وأصل الصداقة مصلحة اجتماعية صقلتها الأيام . وأصل الرحمة أنانية شخصية رقتها الأديان

* * *

اثنان أثنى لهما : رجل جاء قبل اوانه . ورجل جاء بعد اوانه ! ...

* * *

حياة بلا دين ولا مبدأ الانتحار خير منها ! . . .

* * *

ما أشقانا ونحن نتردد بين حقيقة التفضيلة كما نتمهما ، وحقيقة التفضيلة كما يريد أن يعلينا علينا
الناس ولاسيما العامة ! . . .

* * *

تمر بكل انسان أزمة نفسية تدمر مثله العليا ان لم يكن سامي الخلق متين اتمرية !

* * *

لو قدر لامرأة أن تنق من جالها ، ومن تأثيرها الدائم في الرجال ، وكان لها الحق في اختيار
زوجها . لخرجت من الدنيا دون أن تجده ولاثرت أن يكون من ساكني الجنة . أما اذا شكت
في جالها فما أشد قناعتها . فلها تلقى نفسها في أحضان أول طالب ولو كان أحق من هبنقة ! . . .

* * *

اذا عجز الرجل عن ادراك المجد . أراد له لانه . واذا عجزت المرأة عن الحب أرادته لايفتها ! .
« عجلون . شرق الاردن »
العززي

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



الشمس التي تموت

الفصل الاول من كتاب « الكون العجيب »

تأليف الاستاذ جيمس جينز

كلنا نعرف أن هناك نجوما لا يتعدي حجم الواحد منها حجم الأرض ولكن أغلب البقية الباقية من هذه النجوم عظيمة الحجم بحيث قد يتسع الواحد منها لمئات الألوف من مثل حجم الأرض ومع ذلك يظل هناك فراغ زائد وفي الفضاء نجوم أكبر من ذلك بكثير فهنا وهناك نجم هائل من الكبر بحيث يتسع لملايين الملايين من أمثال حجم الأرض وليس للألوف منها فقط . ولا شك أن عدد كل النجوم التي في كل الكون يقرب من عدد دقائق الرمل التي على كل شواطئ بحار العالم بأكملها . من هذا نرى مقدار صغر مسكننا وشدة تقاها مكاننا في الفضاء مقارنا بمجموع المادة التي يحتويها الكون

ويهم هذا القدر الهائل من النجوم في الفضاء مجتمعاً بعضه في جماعات كرقعاء في الطريق . على أن الغالبية من بينها تسبح في الكون منفردة منزهة وهي تسبح في كون لا يسمح لنا فضاؤه أن ننصور أن نجمين منهما يمكن أن يتقابلا : إن العدد الأكبر من هذه النجوم يسبح في عزلة تامة

ووحدة منقطعة كسفينة فريدة في محيط قفر . ولو شبهنا النجوم بالسفن لكان متوسط بعد كل سفينة عن أقرب السفن لها أكثر من مليون ميل . ومن هنا نرى لماذا يندر أن تتقابل سفينتان في عرض الطريق ومع ذلك نعتقد أنه من منذ ملياري من السنين تقريباً حدث هذا الحادث النادر فتقابل نجم في أثناء سيره الأعمى في الفضاء بالشمس وكما أن الشمس والقمر يسيران باقترابهما وابتعادهما من الأرض أمواج المد والجزر على سطحها فكذلك لابد أن اقتراب هذا النجم من الشمس قد أوجد في سطحها تمجيدات تشبه حركات الأمواج على سطوح المياه ولكنها تختلف ولا شك اختلافا عظيماً عن تلك التجميدات الضعيفة التي يسببها القمر في سطوح مياه محيطاتنا . لابد أن موجة عنيفة



رسميس شحاته

عبرت سطح الشمس عندئذ حتى أوجدت في آخر الأمر جبلا شاهق العلو. أخذ يتعالى كلما اقترب منه سبب ذلك الانقلاب ألا وهو النجم وقبل أن يبدأ هذا النجم في الابتعاد رويدا رويدا من الشمس كان مقدار جذبها لسطحها كافيا لأن ينصدع هذا الجبل الذي تكسر عندئذ إلى أجزاء تطايرت في الفضاء كما يتطاير الرذاذ من الأمواج. ومن ذلك الحين وهذه الأجزاء تدور حول أبيها الأول وهو الشمس. هذه هي الكواكب السيارة كبرها وصغيرها والتي تعد الأرض واحدة منها إن الشمس وكذلك كل النجوم الأخرى التي نراها في السماء في درجة حرارة عالية بحيث لا يمكن أن تظهر عليها الحياة. ولا شك أن تلك الأجزاء المتطايرة من الشمس كانت كذلك في وقت تطايرها ولكنها بردت شيئا فشيئا حتى أصبحت الآن ليس لها حرارة خاصة في نفسها. إن كل ما فيها من الحرارة هو تقريبا ما تكسبه من أشعة الشمس. هذه بوادي القصة. أما ما يلي منها فلا نعرف عنه شيئا فقد ظهرت الحياة على جزء من هذه الأجزاء في أثناء بروده ولنا نعرف كيف كان ذلك ولا متى كان ولا السبب في ظهورها

ولقد بدأت الحياة في أحياء بسيطة كان كل همها التوالد ثم الموت. ولكن من هذه البوادي انبعث تيار حي انتهى بعد أن مر في حالات أخذت في التعقد تدريجيا كأن أوجد مخلوقات ترتكز حياتها على عواطفها وأطماعها على أذواقها النفسية ودياناتها التي احتفظت فيها على أعلى أمانيتها وأنبيل مقاصدها أننا لا نستطيع أن نؤكد شيئا ولكنه من المحتمل أن تكون الإنسانية قد وصلت إلى الوجود على هذا النحو. أننا وقد هبطنا على هذا الجزء الصغير من حصة رمل نحاول جهدا أن نزيح الستار عن طبيعة الكون الذي يحيط بمسكننا في الفضاء والزمن وعن الغرض والقصد منه أول إحساس نحسه عندئذ هو شيء يشبه الهلع. إن الكون يرعبنا بهول مسافاته وبطول زمنه السرمدي الذي يجعل تاريخ البشرية كطرفة عين ثم يخفيها بوحدة المطلقه وصغر مسكننا وعدم أهميته المادية بل قهقهته في الفضاء. مسكننا الذي هو جزء من مليون من حصة رمل بين رمال كل الشواطئ الموجودة في العالم. ولكن الكون هنا أكثر لأنه يظهر لنا فوق كل هذا غير آبه أو مكترث لاي حياة كحياتنا. إن العاطفة والغاية والنجاح والدين والفن كل هذه تظهر غريبة بالنسبة له. وربما وجب علينا أن نقول أنه لا يحمل بين طياته أي حياة أخرى كحياتنا. إن الفضاء لخالي قارس البرودة في أغلب أجزائه بدرجة تجعل كل حي فيه يتجمد. وعلى العكس من ذلك المادة المنتشرة في الفضاء محركة القيقظ بحيث تستحيل عليها الحياة وفوق ذلك أنواع متباينة من الأشعة تخترق الفضاء وتنصب على ما فيه من الاجرام الفلكية ومن بين هذه الأشعة كثير من الأشعة التي لا تلائم الحياة إن لم تكن قادرة على اهلاكها لقد هبطنا في عالم كهذا ونحن لا نعرف جيدا كيف كان ذلك فانه إن لم يكن بطريق الخطأ ربما كان على الأقل بطريق ما نستطيع أن نسميه عن حق وصدق بالمصادفة. إن استعمال هذه الكلمة

لا يعنى أنه من الغريب أو المدهش أن الأرض كائنة وموجودة الآن إذ لابد أن يكون هناك المصادقات كهذه وإذا بقى العالم مدة طويلة فن المحتمل أن تتحقق كل المصادقات الغريبة التي نستطيع أن نتصورها في كل وقتها

أظن أنه هكسلى الذى قال على ما أعتقد أننا إذا تركنا ستة قرود تضرب دون أن تسمى على آلات من آلات الكتابة مدة ملايين السنين فأنها لابد ستكتب بمرور الزمن كل الكتب الموجودة في المتحف البريطاني وأنا إذا تأملنا آخر صفحة كتبها أحد هذه القرود ووجدنا أن ضربه على الآلة قد أفضى بطريق المصادفة إلى كتابة إحدى مقطوعات شكسبير فانه يحق لنا أن نعتبر هذا الحادث كمصادفة تخمينية . ولكننا إذا راجعنا ملايين الصفحات التي كتبت خلال هذا العدد الوفير من ملايين السنين فأننا نستطيع أن نؤمن النفس قبل البدء في المراجعة على أننا سنجد مقطوعة من مقطوعات شكسبير مكتوبة في إحدى هذه الصفحات وذلك بطريق المصادفة العمياء . والامر كذلك بالنسبة إلى الاجرام السماوية فأنها ملايين الملايين التي تبهم في الفضاء ملايين الملايين السنين وهذه لابد أن تلتقي كل أنواع الصدف الممكنة . وهذه الصورة نرى أنها لابد أن تعطى مع الزمن عددا معيناً من المجموعات الشمسية . ولكن عدد هذه المجموعات كما يسهل فهمه جيداً لابد وأن يكون ضئيلاً بالنسبة لعدد الاجرام نفسها

وبدورة المجاميع الشمسية تتعطل هامة لأن الحياة كما نرى لا يمكن أن توجد إلا على كواكب مثل الأرض . إذ يجب لظهورها شروط فيزيكية مناسبة أهمها أن تكون على درجة حرارة تسمح بأن توجد فيها الأجسام على هيئة سوائيل

إن الذرة وم نفسها مستقنات من ذلك . لأنها حارة جداً وتستطيع اعتبارها كنيان ملتته هائلة موزعة في الفضاء تشع حرارة في جو لا تزيد درجة حرارته على أربع درجات فوق الصفر المطلق أى — ٤٨٤ درجة برودة تقريباً حسب مقياس فهرنهايت بل أبعد من ذلك في الفضاء الواسع الممتد بعد طريق المجرة . فعلى بعد من هذه النيران المتقدمة نجد ذلك البرد الهائل الذي لا يمكن أن نتصوره إذ يتعدى مئات الدرجات من البرودة على حين أنه على مقربة منها نجد تلك الحرارة الهائلة التي تبلغ آلاف الدرجات والتي تنصهر عندها كل الأجسام الصلبة وتغلي فيها كل السوائيل

إن الحياة لا تستطيع أن توجد وأن تبقى إلا داخل منطقة ضيقة معتدلة الحرارة تحوطها كل من هذه النيران وتبعد عنها مسافة معينة . وخارج هذه المناطق تموت الأحياء من البرد أما إذا تعدتها مقترنة من النيران فأنها تحترق من الحرارة . إن تقديراً بسيطاً لمجموع هذه المناطق يرينا أنها لا تتعدى جزءاً من مايون مليار من الفضاء كله . إلى كل ذلك داخل هذه المناطق لابد أن تكون الحياة

نادرة جدا لأنه من المصادفات القليلة أن تقذف كل شمس كوكبا سيارا كما فعلت شمسنا إذ المحتمل جدا أن يكون للشمس واحدة من بين كل مائة ألف شمس كوكبا يدور حولها في هذه المنطقة المحدودة حيث الحياة ممكنة

لذلك يظهر مستحيلا أن يكون الكون قد صمم في أول الأمر لأن يكون مهدا للحياة . لأنه لو كان كذلك لحق لنا أن نتوقع تناسبا أكثر بين عظم الآلة وضخامتها ثم انتاجها . إن الحياة تظهر في أول الأمر على الأقل كأنها ناتج ثانوي ليس له أى قيمة ونحن الاحياء نظهر كأننا قد حدثنا عن الطريق الأسامى وضللنا السبيل

لسنا نعرف إذا كانت الشروط الفيزيكية المناسبة كافية في حد ذاتها لانتاج الحياة أو لا . وهناك مدرسة معينة تدعى أنه بمجرد برود الأرض تدريجيا . كان طبيعيا بل حتما أن تظهر الحياة عليها وأخرى تدعى أنه بعد أن أوجدت الصدمة الأولى الأرض لُزمت مصادفة ثانية لظهورها الحياة . إن المكونات المادية الأولية للكائنات الحية هي ذرات كهماوية عادية : كربون كالذى نحده في هباب الدخان وايدروجين وأوكسجين كالذين نجهدهما في المادة وأزوت كالذى يكون الجزء الأكبر من الهواء الجوى . وهكذا . وكل هذه الذرات التى يتقيد وجود الحياة بوجودها وجب أن توجد على الأرض وقت نشوئها . كان من الممكن من وقت لآخر أن ترتب بطريق المصادفة مجموعة منها كما هو ترتيبها الآن في الخلية الحية <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ففى الواقع ليس من الصعب أن تترتب هذه الذرات على ذلك النحو بعد مرور مدة كافية كما انه من السهل أن تكتب ألفزود الستة بعد الزمن السكافى مقطوعة من مقطوعات شكسبير . ولكن هل تكون عندئذ هذه الذرات خلية حية ؟ أتكون الخلية الحية إذن عبارة عن مجموعة من الذرات فقط أم مجموعة من الذرات مضاطا اليها الحياة . أو بعبارة أخرى هل يستطيع كيميائى ماهر أن يخلق الحياة مبتدئا من الذرات اللازمة لذلك كما يخلق الطفل آلة ما من صندوق العابيه ثم يجعلها بعد ذلك تسير ؟ إننا نجهد الجواب حتى الآن ولكنه عندما يأتى سيخبرنا عما إذا كان هناك عوالم أخرى مأهولة كمالنا أولا وسيكون له أكبر أثر فى تفسيرنا لمعنى الحياة ومن الممكن أن يحدث هذا الجواب فى الفكر البشرى قوة أقوى وأبعد مدي من الثورة التى أوجدتها مجاميع جاليليو الفلسكية أو نظرية داروين الحيوية

إن ما نعرفه جيدا على كل حال هو أن المادة الحية تتكون من ذرات عادية وتمتاز الذرات التى يتكون الجزء الأكبر من المادة الحية منها بميلها إلى التجمع أو التجلط فى مجاميع أو فى جزيئات كبيرة الحجم بشكل واضح

ان أغلب الذرات ليس لها هذه الخاصة . فذرات الابدوجين والأكسوجين مثلا تستطيع أن تتحد فتكون جزيئات الايدروجين (يد ٢ أو يد ٣) أو جزيئات الأكسوجين، أو الاوزون (٢١ أو ٣) أو الماء (٢-١) أو ماء الأكسوجين (١-٢-٢) ولكن ليس من بين هذه المركبات كلها مركب يحتوي أكثر من أربع ذرات وازادة الأوزون لا تغير في الموقف كثيرا فركبات الايدروجين والأكسوجين والازوت تحتوي نميبا عددا قليلا من الذرات ولكن اضافة الكربون تغير الموقف كلية . فان ذرات الايدروجين والاكسوجين والازوت والكربون خصوصا تتحد لتكون جزيئات بها مئات بل آلاف بل عشرات الالوف من الذرات . والاجسام الحية تتكون رئيسيا من جزيئات كهذه . ومن مدة قرن تقريبا كان من المسلم به أنه لا بد من قوة حيوية لتكوين هذه الجزيئات الهائلة وكذلك كل الجزيئات الاخرى التي تدخل في تركيب الجسم الحى ولكن موهلر استطاع عندئذ أن يحضر البول (ك ١ ل يد ٢ ز ع) في معمله وبواسطة الطرق الكيميائية العادية . والبول ناتج حيوانى صرف . بعد ذلك تحقق تحضير مواد أخرى تدخل في تركيب الجسم الحى . ونحن نقرر الآن الظواهر التي كانوا يعزونها الى تلك « القوة الحيوية » الواحدة بعد الاخرى وذلك بواسطة الطرق العادية للفيزياء والكيمياء . ومع ان المسألة لا تزال بعيدة عن الحل فانه يظهر أن الذى يميز المادة الحية عن المادة الغير الحية ليس هو وجود « القوة الحيوية » اما وجود ذلك العنصر العادى البسيط وهو الكربون متحدا دائما بذرات أخرى ومكونا بذلك جزيئات كبيرة الحجم بشكل غريب

اذا كان الامر كذلك فالحياة ليست موجودة في الكون الا لان ذرة الكربون لها بعض الخواص الغريبة . وأهمية الكربون من الوجهة الكيميائية تنحصر في أنه يكون الحد الفاصل بين الفلزات واللافلزات . والكربون على هذا الاعتبار لا يرينا في تكوين ذرته الفيزيكي ما نفسر قدرته الخاصة على ربط الذرات ببعضها . ولكن لو تأملنا قليلا نرى أن ذرة الكربون من ناحية أخرى ستكون من ستة الكترونات تدور حول نواة مركزية كستة كواكب سيارة تدور حول شمس في الوسط لا تختلف من ذرات أقرب المواد اليه في الترتيب الكيميائى وهى البور والازوت الا في أن بها الكترون أكثر من الاول والكترون أقل من الثانى . ان هذا الفرق على ضآلته يجب أن يفسر عند آخر تحليل الفرق بين الحياة وغياب الحياة . ومما لا شك فيه ان السبب في أن الذرة التي لها ستة الكترونات لها كل هذه الخواص العجيبة يرجع مصدره الى قانون أولى من قوانين الطبيعة لم تستطع الفيزياء الرياضية ازالة الستار عنه بعد

إن الكيمياء تعطينا حالات أخرى مشابهة لهذه . فظاهرة المغناطيسية الدائمة تظهر بدرجة

واضحة في الحديد ودرجة أقل في النيكل والكوبلت . وذرات هذه العناصر فيها على التوالي ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ الكترون . أما الخواص المغناطيسية هل الذرات الأخرى مما يمكن إهماله بالنسبة لهذه . وليس هناك سبب ظاهر لذلك ان الفيزياء الرياضية لم توضح بعد هذه المسألة وهى ان المغناطيسية تعتمد وتتوقف على الخواص الغريبة التى للذرات التى بها ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ الكترونا وخصوصا الأولى من بينها . ويقدم لنا النشاط الضوئى مثالا ثالثا من الذرات التى لها من ٨٣ إلى ٩٣ الكترون . وهنا أيضا لم ينبجل الأمر بعد

ان الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تعلمنا اياه الكيمياء كما نرى هو انه يجب أن نضع الحياة والمغناطيسية النشاط الضوئى فى فصيلة واحدة . ان الكون مكون ومركب بحيث يسير حسب قوانين معينة . وحسب هذه القوانين نرى ان الذرات التى لها عدد من الالكترونات سواء كان ٦ أو من ٢٦ الى ٢٨ أو من ٨٣ الى ٩٣ لها خواص معينة تظهر لنا على التوالي فى الحياة أو المغناطيسية أو النشاط الضوئى . ولو كان هناك خالق قادر على كل شيء لا يقيد به أي قيد لما كان مضطرا الى الاقتصار على القوانين التى يسير الكون الحالى . ولاستطاع تركيب كون يتفق وأي من مجاميع القوانين الأخرى الممكنة وهى متناهية العدد وفى هذه الحالة أى لو أن مجموعة أخرى من القوانين وقع عليها الاختيار لكان هناك ذرات أخرى خاصة لها خواص أخرى عجيبة مرتبطة بتركيبها ونحو لا نستطيع أن نقول أي خواص كانت تكون هذه الخواص ولكنه يظهر بعيد الاحتمال أن تكون المغناطيسية أو النشاط الضوئى أو الحياة من بينها . ان الكيمياء توحى لنا ان الحياة كالمغناطيسية والنشاط الضوئى وقد لا تكون موجودة كنتيجة عرضية لمجموعة القوانين الخاصة التى تسير الكون الحالى

صحيح ان كلمة عرضية عرضة للنقد والمناقشة لأنه لماذا لا يكون خالق الكون قد اختار هذه المجموعة الخاصة من القوانين لأنها تمهد لظهور الحياة ؟ ولماذا لا تكون هذه هى الطريقة التى لجأ اليها الخالق لاييجاد الحياة ؟ وما دمنا نعتبر الخالق كائننا كبشر له عواطف ومصالح كالتى لنا فاننا لا نستطيع أن نرد على هذا الاعتراض الا بأن نقول : انه بمجرد قبولنا لفرص كهذا فليس هناك جديد يمكن أن تضيفه المناقشة الى ما قد قبلناه ولكننا اذا أبعدنا عن عقولنا كل أثر لبشرية الخالق فانه لا يبقى لنا أي سبب أو داع لان نفرض ان القوانين الحالية قد اختيرت خصيصا لظهور الحياة أو لانها تمهد لها . بل يصبح من المعقول جدا أو نفرض انها اختيرت مثلا لظهور المغناطيسية أو النشاط الضوئى وذلك أكثر احتمالا خصوصا وان الفيزياء تابع فى الطبيعة دورا أكبر بكثير ما تلعبه البيولوجية . واذا تأملنا المسألة من الوجهة المادية البحتة نرى أن ندورة الحياة وقلة قيمتها

وتفاهتها تهدم من الأساس الرأي القائل بأنها كانت محط عناية مهندس الكون الاعظم ان مثلاً مألوفاً قد يجعلنا نفهم الموقف فهما أحسن . وإن بحاراً عديم الخيال متعوداً ربط العقد وعملها قد يفتن الى أنه من المستحيل أن يعبر المحيط لو استحال عليه ربط هذه العقد . وبما ان عقد جبل ليس ممكناً الا في فضاء ثلاثي المقاييس فليس من الممكن تحقيق أى عقدة في فضاء أحادي أو ثنائي أو رباعي أو خماسي أو مكون من أى عدد آخر من المقاييس . ومن هذا قد يستنتج صاحبنا البحار عديم التصور أن خالقاً محسناً قد وضع البحار تحت حمايته الخاصة ورعايته الساهرة . وإن هذا الخالق قد أراد ان يكون الفضاء ثلاثي المقاييس حتى يصبح من الممكن عقد العقد ومن ثم عبر المحيط أو في كلمة واحدة قد أراد ان يكون الفضاء ثلاثي المقاييس حتى يمكن ان يكون هنا بحارون

وواضح ان لهذا المثل نفس قيمة التدليل الذي سقناه من قبل فالحياة في مجموعها وكذلك عقد العقد لهما تقريباً نفس الاهمية إذ أن كلاهما ليس الا جزءاً يمكن اهماله من النشاط الكلي في الكون المادي

على هذا النحو اذا جئنا الى الوجود (وذلك حسب فروض العلم الخيالية) فلشدة ما تزداد دهشتنا عند ما ننقل من مشكلة أصلنا الى مشكلة القصد والغاوة في وجودنا وكذلك اذا حاولنا ان أن نكشف ما يحيطه القدر لنفسنا

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ان الحياة كما نعرفها لا يمكن أن توجد إلا اذا توافرت لها حالات مناسبة من الضوء والحرارة ونحن أنفسنا لسنا موجودين الى الآن الا لأن الارض تسلم من الشمس الكمية المطلوبة بالضبط من الاشعاع . واذا اختلف هذا التوازن إن نقصا وإن زيادة فإن الحياة يجب أن تختفي عندئذ من على الارض . والمهم في الأمر أن هذا التوازن من السهل جدا الاخلال به وقطعه

ان الانسان البدائي الذي عاش في المنطقة المعتدلة من الكرة الأرضية لابد قد هنع لرؤية العهد الجليدي يهبط على مساكنه فكل عام كانت تعمل النالجات في الوادي الى نقطة أبعد مما وصلت اليه في العام الذي قبله وفي كل شتاء كانت الشمس تظهر أقل قدرة على أن تمد بالحرارة التي تتطلبها الحياة وبالنسبة له كما هو الحال بالنسبة لنا كان الكون مطارداً ومعادياً للحياة . ونحن الذين نعيش الآن في تلك المنطقة المعتدلة التي تحيط بالشمس والذين نحاول جهداً لأن نخترق حجب المستقبل البعيد نرى أن خطر عصر جليدي من طبيعة أخرى يهددنا . فكما حكم على نائال ، ولو أنه كان واقفاً في حوض ماء لو زاد قليلاً لكان كافياً لاغراقه وأن يموت عطشاً كذلك مصير جنسنا الحزن وهو أن نحتمل أن تموت برداً مع أن الجزء الأكبر من المادة التي في الكون ستظل محروقة بحيث

لاستطيع الحياة ان تنشأ عليها . فالشمس وليس لها منابع خارجية لحرارة ستشع بالضرورة كمية أقل فأقل من أشعتها التي تولد الحياة وبذلك يجب أن تتناقص المنطقة المعتدلة حيث يمكن للحياة أن توجد مقتربة شيئاً فشيئاً حول الشمس وحتى يمكن أن تستمر الحياة يجب ان تقترب الارض رويداً من هذه الشمس التي تموت ولكن العلم يخبرنا أن قوانين الديناميكا بدلاً من أن تقرب الارض من الشمس تبعدها عنها وتطاردها نحو الصقيع والظلمة الخارجية وعلى قدر ما نستطيع أن نرى ستظل هذه القوانين تعمل حتى يقتل البرد الحياة على الارض الا اذا حصل اصطدام أو انقلاب سمادى ينهى الحياة بأسرع من ذلك . ان هذا المصير المحزن ليس محفوفاً لأرضنا فقط فهناك شمس أخرى ستتموت كشمسنا وعلى ذلك فالحياة التي يمكن أن تكون على كواكب سياره أخرى ستلقى نفس النهاية الممحنة

ان الفيزياء تعلمنا نفس ما يعلمنا الفلك . لأن المبدأ العام المعروف باسم القانون الثانى للديناميكا الحرارية يعلمنا مستقلاً من كل الاعتبارات الفلكية أنه لا يمكن أن يكون للكون الانهاية واحدة وهى « الموت الحرارى » حين تصبح كل الطاقة التى فى الكون موزعة بالتساوى وحين تصبح كل المواد التى فى الكون فى درجة حرارة واحدة وهذه الدرجة ستكون واطئة جداً بحيث تصبح كل حياة مستحيلة وليس ذا أهمية أن نعرف بأى طريق سنصل الى هذه النتيجة النهائية فكل الطرق تؤدى الى روما ونهاية الرحلة لا يمكن أن تكون غير الموت للجميع

أفنى هذا كل القصد من الحياة وكل ماتعنيه ؟ ان نوجد كما لو كان ذلك اثر غلطة فى كون من الواضح أنه لم يرتب خصيصاً للحياة بل تدل كل الظواهر على أنه غير طابىء بل معاد ومطاردها . ثم ان نظل معلقين على قطعة من حبة رمل حتى يحلينا عنها صقيع الموت وأن نتبخر لحظة قصيرة على مسرحنا الصغير ونحن نعرف جيداً أن كل أمانينا موكولة الى فشل نهائى وأن كل ما عملناه يجب أن يهلك معنا تاركين الكون كما لو لم نوجد فيه أبداً

ان الفلك يضع السؤال ولكنى أعتقد أنه يجب أن نطلب الجواب من الفيزياء . لأن الفلك يستطيع أن يعلمنا الترتيب الحالى للكون ، هول القضاء وفراغه ثم ضالة المحل الذي نشغله فيه وهو يستطيع أن يقول لنا شيئاً عن طبيعة التغيرات التي تحدث فيه على ممر الزمن ولكن يجب أن نتأمل فى طبائع الأشياء الاساسية قبل أن نستطيع أن نؤمل جواباً لسؤالنا . وهذا ليس فى حدود الفلك بل سنرى أن البحث يقودنا مباشرة الى قلب الفيزياء الحديثة

مصدر النظم المدرسية الحاضرة

بعد تنفيذ المعاهدة

(نس المحاضرة التي ألقاها الدكتور أمير
بقطر بقاعة بورت التذكارية بالجامعة الأمريكية
في مساء يوم الثلاثاء ٢٤ نوفمبر)

(١) علاقة التعليم بالمعاهدة

ليس من الغرابة في شيء أن تتخذ هذا العنوان موضوعا لبحثنا في هذه الليلة . ليس من الغرابة في شيء أن يكون ثمة اتصال بين مسائل التعليم القومي وبين تنفيذ المعاهدة للأسباب الآتية :
أولا — لأنه بهذه المعاهدة مهما بلغ تشاؤم المتشائمين تلقاها تحتاز البلاد المصرية حادثا خطيرا ومرحلة حاسمة فاصلة فلما نجد لها منذ أن غزا القرم والأغريق مصر إلى يومنا هذا نظائرا . بهذه المعاهدة مهما بلغ تشاؤم المتشائمين أزالها تيسر مصر على عجل في طريقها الجديد المرصوف بلغت نفعاتها ما بلغت نحو الدولة ذات السيادة

وإذا ما تتبعنا حوادث التاريخ السياسي عند جميع الأمم البائدة منها والباقية لوجدنا أن مسألة التعليم القومي لم تكن منذ القدم (ولا تزال) إلا علاقة بين الدولة والفرد وقد بدت طلائع هذه العلاقة منذ أن أخذ كل من افلاطون وتلميذه أرسطو أن يبحثا في معنى التربية وأن يقولوا لنا في عبارة صريحة مبتكرة : « ان طبيعة التربية أو خصائصها يحددها نوع الدولة » وقد قال افلاطون أيضا : « ان الشبيبة اذا استقام تعليمها القومي جرت مقادير الدولة في أعنتها على أحسن منوال » وقال أرسطو « ان أكبر العوامل في ثبات الدساتير وتوطيدها على دعامة راسخة البناء هو تكييف العلاقة بين طابع التربية وطابع الحكومة »

وعلى أساس هذا المبدأ الحكيم العهد شيدت أعرق النظم التعليمية في أوروبا . على أساس هذا المبدأ أقام فريدريك الكبير صرح التعليم في بروسيا (ألمانيا) وعلى أساسه أقام نابليون بونابرت صرح التعليم في فرنسا وعلى منواله نسج رجال الجمهورية الفرنسية بعد . وعلى أساسه أقام جورج واشنطن ومعاصروه صرح التعليم في ولايات أمريكا المتحدة . بيد ان هؤلاء الزعماء وغيرهم من واضعي أسس الأنظمة التعليمية لم يتفقوا في تفسير هذا المبدأ ولم يتشوا معا في تطبيق تفاصيله فبينما كان كل من فريدريك ونابليون ينادي بحق الدولة في تشكيل رعيته على نمط خاص وعيود

التي لا بد من تعديل القوانين في ضوء التغيرات التي يحدثها المجتمع، وبما لا يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية. وفيما يتعلق بمسألة القضاء، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن استقلالية القضاء، وأن يكون القضاة من ذوي الكفاءة العالية، وأن يكونوا خاضعين لمبدأ الفصل بين السلطات. وفيما يتعلق بمسألة الحقوق والحريات، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن حقوق الإنسان، وأن تكون خاضعة لمبدأ سيادة القانون. وفيما يتعلق بمسألة التنمية الاقتصادية، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن بيئة استثمارية جاذبة، وأن تكون خاضعة لمبدأ الشفافية والمساءلة. وفيما يتعلق بمسألة التعليم والثقافة، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن جودة التعليم، وأن تكون خاضعة لمبدأ الديمقراطية والحوكمة.

وبناءً على ذلك، فإن الدولة الحديثة يجب أن تكون دولة قانون، وأن تكون خاضعة لمبدأ سيادة القانون. وفيما يتعلق بمسألة التنمية الاقتصادية، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن بيئة استثمارية جاذبة، وأن تكون خاضعة لمبدأ الشفافية والمساءلة. وفيما يتعلق بمسألة التعليم والثقافة، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن جودة التعليم، وأن تكون خاضعة لمبدأ الديمقراطية والحوكمة.

وفيما يتعلق بمسألة التنمية الاقتصادية، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن بيئة استثمارية جاذبة، وأن تكون خاضعة لمبدأ الشفافية والمساءلة. وفيما يتعلق بمسألة التعليم والثقافة، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن جودة التعليم، وأن تكون خاضعة لمبدأ الديمقراطية والحوكمة. وفيما يتعلق بمسألة التنمية الاقتصادية، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن بيئة استثمارية جاذبة، وأن تكون خاضعة لمبدأ الشفافية والمساءلة. وفيما يتعلق بمسألة التعليم والثقافة، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن جودة التعليم، وأن تكون خاضعة لمبدأ الديمقراطية والحوكمة.

وفيما يتعلق بمسألة التنمية الاقتصادية، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن بيئة استثمارية جاذبة، وأن تكون خاضعة لمبدأ الشفافية والمساءلة. وفيما يتعلق بمسألة التعليم والثقافة، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن جودة التعليم، وأن تكون خاضعة لمبدأ الديمقراطية والحوكمة. وفيما يتعلق بمسألة التنمية الاقتصادية، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن بيئة استثمارية جاذبة، وأن تكون خاضعة لمبدأ الشفافية والمساءلة. وفيما يتعلق بمسألة التعليم والثقافة، فإن الدولة الحديثة يجب أن تضمن جودة التعليم، وأن تكون خاضعة لمبدأ الديمقراطية والحوكمة.

[illegible]

© 2005 Blackwell Publishing Ltd, *Journal of Internal Medicine* 258: 103–110

[illegible][illegible]

تم الاتفاق على إنشاء صندوق ائتماني في احدى فروع بنك القاهرة بـ ١٠٠٠ جنيه مصري، وذلك بهدف مساعدة المزارعين على شراء البذور والادوية الزراعية، وتوفير الخدمات المالية لهم.

جديدا لاتخاذ دقة الملاحظة والتجريب العلمى أساسا للتفكير . وهى التى لاتكون فصول الدراسة فيها ثكنات لاجنود أو أديرة للنساك بل هى التى تكون فيها الحياة كاملة والبيئة طبيعية تنشر فيها الأزهار رائحتها الذكية وعيقمها المنعش للنفوس وتشرق فيها الشمس بأشعتها الذهبية وتغرد الأطيوار بأصواتها العذبة الملائكية . تلك هى البيئة التى يجد فيها المربى جو الحرية فيمرح وتلاميذه ويعملون على أساس متين من المعانى لا الألفاظ والأعمال لا الأقوال وبناء صرح الاخلاق لاجواز الامتحانات والسلام

أين هذا النوع من المدارس من تلك التى لا يتم فيها الطالب عمله على الوجه الأكمل حتى يكون قد درس حتى مل الدرس وانكب على النظريات حتى ضجر وعافت نفسه النظريات والعليمات معا . أين هذا النوع من المدارس من تلك التى يصبح فيها التلعيز الفقير « على الاخص فى نهاية العام » من قلة الغذاء وكثرة الحفظ والاستظهار وعقم الامتحانات النهائية وإهيا ناحلا خامل الذهن وقد ذهب نضرتة وانطفئ سراج ذكائه أما البنت خصوصا فى بعض المدارس العالية والفصول الثانوية النهائية فلا يتبقى منها إلا الألواح ولا يتخلف من جسمها الدقيق إلا جلد على عظم

المدرسة الصحيحة تكون فيها اليد فى مقدمة الوسائل لتربية الملكات العقلية . وعلم النفس يترل لنا علماؤه أن لا توجد مشاهدة بغير حركة والحركة من أعمال اليد فى الغالب ولا غرابة إذا وجدنا المدارس الراقية الثانوية منها والابتدائية تعنى بالأعمال البدوية والصناعية والزراعية

يقول الفيلسوف الألماني نيتشه أن التربية نوعان عامة وعاطلة فالعاطلة . هى التى تكون الصلة الوحيدة فيها بين المعلم والطالب هى الاذن وتقوم التربية فيها على عملية ذات طرفين فى الطرف الاول نجد لسانا « كناية عن المعلم » يتكلم ويحاضر ويشرح وفى الطرف الثانى نجد أذنا « كناية عن الطالب » تسمع وأحيانا نجد يدا تتحرك على القراميس لتدوين المذكرات . هذا النوع من التربية فاسد بالطبع لأن المعلم يكون فيه محطة إذاعة والطالب آلة لاسلكية لا قطة

التربية الصحيحة لاتعتبر الطالب وعاء يطلب ملؤه أو قطعة من المعجين يطلب تشكيلها تشكيلا أو استطوانة من الشمع كاستطوانة « القنوغراف » تنقش عليها المعارف والعلوم . كلا فان هذا الاعتبار يجعل التلعيز عاطلا لا عاملا قابلا لافاعلا متأثرا لاموثرأ يهبط عليه الوحي يخلق الفن خلقا . هذه هى المدرسة التى وصفها الأستاذ الفرنسى المعروف فربيه فى كتابه هى المدرسة التى تعنى بالطالب قبل المعلم والمعلم قبل الناظر والناظر قبل المفتش والمفتش قبل المراقب والمراقب قبل وكيل الوزارة ووزيرها

ولى ذلك العصر الذى كان فيه أساس التربية الفلسفة العقلية كما كانوا يسمونها وهى تلك الفلسفة التى كانت تعنى بتدريب الذهن وتقويته بالمعارف والعلوم بغض النظر عن قيمتها العملية . ولى ذلك العصر وأقضى وحل محله عصر البداغوجيا — التربية الصحيحة — بعد مجيء كومنيوس وروسو

وبستلوزي وهربرت سبنسر ووليم جيمس واستانلي هول وجون ديوي ، هؤلاء جميعا يتفقون على أن الوظائف الذهنية ليست إلا وسائل الغرض منها الانتاج والنشاط ، والنشاط هو ما عليه علينا حاجتنا كان علم النفس القديم يدفع المدرسة إلى تزويد الطلبة بأكثر كمية من المعرفة لأن المعرفة في ذاتها كانت ، تعتبر قوة . بيد أن علم النفس الحديث يجعل المعارف خاضعة لحاجات الانسان خادمة لها لأن هذه المعارف ماهي إلا وسيلة تتوصل بها إلى غرض أو أغراض

تودي بنا هذه النقطة إلى الإشارة إلى الامتحانات العامة واعتمادها على الذاكرة أيها المادة خادمة للذكاء والتفكير وغير سابقة لها ولا نستطيع الانكار أن الذاكرة ملكة ثمينه وأن هناك من الحقائق العامة التي يجدر بكل متقف معرفتها لاتصلها بحياتنا اليومية في القرن العشرين وأد ، التفكير لا يمكن أن يتأتى بغير معلومات وحقائق أو كما قيل أننا لا نستطيع أن نفكر في فراغ . هذا كله لا ينكر ولكن الامتحانات العامة كما نراها في بلادنا اليوم تؤله الذاكرة وتوحد الانظمة فتسيرنا على وتيرة واحدة وتجعل الأساتذة آلات مسخرة تتحرك مدفوعة بهذه الأنظمة فهمل العاطفة والعقل وتقتل الافدام والتأهب لخوض معارك الحياة

قال علماء النفس في القرن الماضي أن الطاقة العقلية لها أربع وظائف وهي (١) الذكاء (ب) الذاكرة (ج) والتخيل (د) وصواب الحكم أو التمييز . فالفهم من خصائص الذكاء والحفظ من خصائص الذاكرة وتداعى المعاني من خصائص التخيل والموازنة والقدرة من خصائص التمييز ولكن لعمري أتى لنا تربية هذه الوظائف طالما كنا لانعنى بغير الذاكرة وطالما كنا عبيداً للعناهج عبيداً للحفظ عبيداً للامتحانات فأتيناها مراقبة خلصة تنوبها لقدرها . وهنا أحل حضراتكم إلى ماذبحته يراعة محمد عوض ابراهيم بك وكيل الوزارة المساعد في تقريره عن التعليم الثانوي حينما كان مراقبا لذلك التعليم وإلى تقرير أحمد الهلالى بك في « التعليم الثانوي ، عيوبه وطرق إصلاحه » حينما كان وزيراً للمعارف وأخيراً إلى تقرير حسن فائق بك (صفحة ٣٣) مراقب التعليم الثانوي في هذا العام

٣ - السياسة والتعليم القومي

ويظهر أن بعض العلل التي نشكو منها في بلادنا مصابة بها بعض البلدان اللاتينية فقد ظهر في غضون سنة ١٩٣٦ كتاب نفيس باللغة الفرنسية

ومؤلفه أستاذ كبير سابق في جمهوريه بيرو من جمهوريات أميركا الجنوبية والأمن يمثل سياسى لبلاد في بروكسل عاصمة البلجيكي . ويخيل إلى أن بعض ما جاء في هذا الكتاب النفيس موجه إلينا رأساً واسمحوا لي أيها السادة أن أترجم لكم بعض أقواله بحرفها

« ومما يؤسف له أن العواطف السياسية والأهواء الحزبية كثيراً ما تهمل الناحية العلمية في البلاد فتقتضى على الروح العلمية قضاء مبرما وتطغى شعلة الذكاء في الافراد العاملين وتهضم حقوق العلماء

حتى تأخذ بنحوهم في الأقول وتبجلى هذه الظاهرة على الاخص في البلاد التي تضع على رأس وزارة المعارف فيها وزيرا من رجال السياسة يؤخذ عادة من طائفة رجال القانون الذين يحملون مبادئ التربية جهلا تاما ولا يعينهم من عملهم سوى إرضاء الدائرة الانتخابية التي اليها ينتمون ويعمد هؤلاء إلى وضع الثقة في أيدي الموظفين من محسوبيهم من غير الفنيين الذين ينفذون إرادتهم ويحملون أولئك الذين درجوا في أحضان مهنة التربية والتعليم فيبسط مستوى التعليم إلى درجة غير محدودة العاقبة إلى أن قال

« يظن رجال السياسة أنهم ذوو مقدرة على حل مشاكل التعليم بمناقشات قانونية لاجتدي تقعا في حين أن هذا الحل يتطلب إلاما جديا بمبادئ التربية التي لا سبيل للوصول إليها إلا بالدرس والمرانة » إن وضع المناهج واختيار أساليب التدريس لا تتطلب رجال السياسة بل رجال التعليم وأن رجال القانون السياسيين ليسوا من الكفاية في فن التربية وليس لديهم من الحرية ما يحول لهم العمل في مصلحة المتعلمين »

وهنا شدد التبرة على مبدأ الأمانة والأخلاص فيما يختص بالقائمين بمهام الثقافة التومية فقال إن العمل باخلاص أمر وعبر الملتبس منيع الدرك ولكن من المستحيل أن تصنع رجلا إذا لم تكن أنت رجلا » وتعليقا على أقوال هذا المربي العظيم تقول - والحق أولى أن يقال - إن كل محاولة في إصلاح أنظمة التعليم في بلادنا قامت على أيدي وزيرين أو ثلاثة من رجال القانون والسياسة ولم ترق محاولات ما في سبيل الإصلاح على أيدي غيرهم من رجال الوزارة الفنيين بيد أن الجواب على هذا (أولا) أننا إذا عددنا أسماء الوزراء السابقين للمعارف فقلما نعث على وزير من غير رجال القانون والسياسة (ثانيا) أن غيرهم من رجال الوزارة الفنيين لم يكونوا وزراء وإذا فلم يكن لهم حول ولا سلطة على مديد الإصلاح حتى لو كان ذلك في مقدورهم

٤ - رجال التربية المصريين في مئة سنة

في سنة ١٨٣٦ أنشئ في مصر مجلس المعارف العمومية أي أننا نستطيع أن نقول أن وزارة المعارف العمومية « رغم ما طرأ على اسمها من التغيرات » تبلغ من العمر قرنا كاملا ولكن إذا حق لنا أن نتفخر أننا أخرجنا للبلاد أطباء من الدرجة الأولى ومحامين وقضاة من الدرجة الأولى وأوشكنا أن نخرج أيضا مهندسين من الطبقة الأولى . إذا حق لنا ذلك فهل نستطيع أن نباهي أننا أخرجنا معلمين من الدرجة الأولى ومماهد علمية (ابتدائية وثانوية) يصح أن نتخذ نموذجا للتربية الصحيحة في خلال السنوات المئة الماضية أو ربع القرن الأخير ؟

اسمعوا أيها السادة مايقوله أحد رجال الوزارة أنفسهم . يقول محمد الحسيني مصطفى بك في تقريره سابق ذكره صفحة ٥ ونقلنا عن مستر مان الخبير الانجليزي

« انه لا تكاد توجد مدارس في مصر تظهر فيها مبادئ التربية الحديثة مطبقة تطبيقاً تاماً في تنظيمها المدرسي وطرق التدريس والادارة فيها أي أنه لا تكاد توجد مدارس يصح أن يتخذها مدرس التربية الخبير بنفثه نموذجاً لتدريب طلبته فيها . . . »

أنشأت الوزارة مدرسة من هذا النوع كان عمادها والعامل على انشائها معلم مال بطبيعته الى فنون التربية غير أن الوزارة أرادت مكافأته فعملته ناظرًا وهذا هو الداء الذي يصيب النابغين في مصر. لا تكاد نجد جراحاً نابغاً حتى تختطفه من غرفة العمليات التي يؤدي فيها خدمات جليلة تخففها لويلات الانسانية حتى نفضه على رأس مصلحة ادارية يقضى يومه في التوقيع على أوراق لانهاية لها ولا تكاد نجد معلماً ماهراً حتى ننقله الى عمل اداري ينسى في طاحونه الدائمة الدوران والهف مهنته الراقية

هل أخرجنا أيها السادة طلبة هذا القرن معلماً واحداً ومربياً بالمعنى السامى نستطيع أن نقول هنا أنه قضى حياته في خدمة مهنته والعمل على ترقيتها وابتكار الطرق والنظم التي يصح أن تتخذ نموذجاً في مصر والخارج أمثال السيدة مدام مونتسوري في إيطاليا ودي روش في فرنسا وبوفيه وكلاباريد في سويسرا ودبوي في اسريكا وذكروني في برلين ؟ أو هل عاش فينا ومات رجل أشرب هذه المهنة وعاش ومات مخلصاً أميناً لها . اسمعوا أيها السادة مائة أكره الدكتور ذكروني على مائدة كان يكتب عليها قبل وفاته بوضع دقائق وقد وجدت هذه العبارة على ورقة لم يحفظ مزاها وهي :- « لا يحق لصغير مثلي قضى ربع قرن في خدمة هذه المهنة الشريفة في هذه اللحظة التي أشعر فيها بدنو الأجل . يحق لي أن أمضي الى مغربي الأبدى الأخير بسلام فرحاً مبتهجا مرتاح الضمير لأن جهودي لم تذهب عبثاً منشوراً وإن هذا البناء الذي وضعت أساسه بيدي سلم الى من يستطيع القيام بأعامه خير قيام من أبناء وطني المحصلين »

أيها السادة توات الأيام وتوات على وزارة المعارف فيها ضروب من أنواع النشاط شبيهة ببعض النوبات العصبية فمن الوزراء من كان نشاطه محصوراً في تكوين لجان لدرس حالة التعليم القومي وكتابة التقارير المسببة أحياناً بمجمع جلسة مرة واحدة فتطفي لهيب حماسته وتؤجل الجلسة تأجيلاً نهائياً لا انعقاد بعده . ومن الوزراء من كان نشاطه محصوراً في نقل الموظفين والمعلمين بالجملة . ثم ما بناه من المشاريع سابقة . ومنهم من كان نشاطه موجهاً الى السهر على العرف والعادة والدفاع عما لا يظال في قاعة الدراسة وساحة اللعب وغرفة المائدة وحجرة النظار والمدرسين وفيهم من كانت نوبته تدور حول التنقيب عن الكتب القديمة وحياء الرمم البالية المفيد منها وغير المفيد . ومنهم من حصر نشاطه في المناداة لقومية تمتد من البحر الهندي شرقاً والبحر الاطلنطي غرباً . ومنهم بالطبع من تمتد على كرسي الوزارة والنوم ملء جفنيه

قد يقول قائل أنها السادة ان هذا الكلام ينطبق على جميع الوزارات . قد يكون هذا صوابا
يبد أنه بمجرد بنا أن نذكر أن وظيفة هذه الوزارة تمتاز عن سواها بأن عملها أن يقوم بتنقيف الأمة
وعليها أن تكون في مقدمتها جميعا

٥ - كلمة ختامية

المحلة البكالوريا يطرقون أبواب الوظائف خصوصا الحكومية منها ولا يفكرون في مواولة
الاعمال الحرة المستقلة وما لمحلة دبلوم الزراعة يتهافتون على وظائف وزارية ولا يحارلون الاشتغال
بالزراعة ، وما لمحلة دبلوم التجارة يؤثرون وظيفة مكتبية متواضعة على القيام مستقلين بتجارة
متواضعة ، وما لمحلة دبلوم الطب يؤثرون العمل في ظل الحكومة وأن أدى ذلك الى قتل الروح
العلمي فيهم ونسيان مهنتهم على الكفاح في سبيل الحياة أحرارا عاملين

هذه أسئلة جارحة مؤلمة تلقى على الناشئة المصرية بغير انقطاع وتكال لهم بغير حساب تحمل
بين عباراتها أشد معاني اللوم والتقريع بغير مبرر وتقتل في ظاهرها على حقائق مليئة منطقية ،
وماهى في الواقع إلا فقايع جوفاء وأقوال مضللة للسامع بمخفة بحقوق المشلول ماسة بعزته وكرامته
اي لعمرى - أليست هذه الخطة التي رسمناها للطلاب المصري المسكين منذ أن رأت عيناه
حجرة الدراسة أليست هذه هي القبة التي ولينا وجهه شطرها منذ نعومة أظفاره . أليست القالب
الحديدي الذي حبسنا فيه قديمه الصغيرة وشددنا عليه فيه الخناق هو هو عين القالب الذي خصصناه
لسائر اخوانه طولا وعرضا وشكلا وزيا وان اختلفت أقدامهم . أليس هذا النظام الموحد الحربي
الدقيق الذي يسير على وتيرة واحدة هو الذي يمسك بأبدي هؤلاء الطلاب فيطرق بها تلك الابواب
ألا يظل الطالب طيلة الفترة المدرسية في حركاته وسكناته في مذكراته واستظهاره مقيدا بكتب
ومذكرات وامتحانات دورية تقتل فيه ملكة التفكير وتطفى فيه شعلة الابتكار وتذهب بما قد
يكون في طبيعته من شجاعة ومجازفة وإقدام ؟ ألا يعتمد في نجاحه على مذكرات أستاذه حتى في معظم
المدارس العليا لأن النظام في ذاته لا يشجع على البحث العلمي والرجوع إلى عدة مؤلفات بدلا من
كتاب مقرر واحد أو مذكرات محدودة مطبوعة الويل لمن لا يستوعب ما فيها

ليس من شأن هذا أن يخرج آلات أنوما تكيه لاروسا مفكرة أمن الغريب أن يتحرك هذا
الجيش كله في طريق واحد نحو جهة واحدة وهدف واحد ؟ هل نوعنا المدارس تنويعا يجد من
النشء ما يناسب القروق الفردية فيهم ذكاء وكفاية وزعات وميولا وعواطف ورغائب ؟ هل نظمنا
البلاد تنظيما اجتماعيا بكفيل لهذا الجيش العرمرم المدجج بالسلاح ان يعلم إلى أية موقعة حرية
فسوقه ؟ فاذا كان الجواب سلبا أفلا يكون مثلنا مثل من

« القاء في اليم مكتوبا وقال له إياك إياك أن تبطل بالمساء »

فِي الْحَيَاةِ وَالْعَمَلِ

بقلم سلامة موسى

وجه آخر للحضارة

تسمى النينا شركات الاخبار الأجنبية أكبر الاسماء عندما تقتصر أخبارها على خطاب الزعماء عن الحرب أو عندما تنقل النينا فظائم الثورة العسكرية أو الشيوعية في اسبانيا أو عند ملتحدتنا عن فظائم الفاشيين الايطاليين أو الشيوعيين الروس . وهي تسمى النينا لأنها تنقل النينا صورة ناقصة للحضارة الاوربية بل صورتها القبيحة صورة الامراض التي تفتابها من وقت لآخر وهي لا بد متخلصة منها يوما ما . ونحن بمداومة القراءة لهذه الاخبار نتوهم أن الحضارة الاوربية في نزاع لا ينقطع تأكل نفسها وتبدد قواها وهي عن قريب زائلة

وهذا وهم عظيم ترجم التبعة فيه إلى هذه الشركات . ففي أوربا من التجديد في الحضارة والثقافة ما سوف يسفر عن فوز عظيم للانسانية يشبه ذلك الفوز الذي تحقق لاوربا في القرن الخامس عشر حين نقضت عن نفسها غبار القرون الوسطى واختطت طرقا جديدة للتفكير البكر الجريء . ولا يمكن المنغمس في الفلسفات الاوربية الامريكية الحديثة الا أن يشعر بأننا على وشك الاهتداء الى مرساة يرسو عليها الفكر البشري وبمجد منها مفتاح التجديد الاجتماعي والتضامن الديني . فنحن الآن في ظلام النظريات المتخبطة التي قامت على الاسس المزعزعة للعادات والعقائد الموروثة . وقد وصلنا الى مرحلة الحيرة والتخبط فلا بد من أن نصل بعددنا الى اليقين والاستقرار . ولكن الشركات التلغرافية للاخبار لا تبالي هذا التجديد في أوربا لانه خلو من القيمة الارجابية التي لسائر الاخبار . وهي تقصد الى الارجاف قبل كل شيء . فهي تنبئنا عن اصطدام قطارين أو عن اشاعة الزواج لاحد الامراء أو عن مقابلة زرين أو تنقل النينا خطة أحد الفاشيين الايطاليين يخاطب فيها الجمهور بلغة العصر الحجري . ولكنها لم تنقل النينا ان مطران يورك هو موظف في الدولة البريطانية دعا حكومته الى التخلي عن المستعمرات وتسليمها لعصبة الامم . ولم تنقل النينا ان الهيئات الرسمية وشبه الرسمية في انجلترا وحدها قد بنت من المنازل الجديدة للعالم ما بلغت قيمته نحو ٢٠٠ مليون جنيه . وهي منازل تحوى ألوان الحضارة الحديثة تقريبا . وتفضل من هذه الوجهة بعض منازل الباشوات في القاهرة . لان هناك في هذه المنازل رغبة متممة وهنا في

في منازل باشواتنا نرف سخيف . وهي لم تنقل إلينا ان المدارس الابتدائية في معظم أقطار أوروبا الغربية توزع الدين والغداء بالجان للأطفال . ولم تنقل إلينا ان رومانيا قد خفضت الدين عامة في بعض الاحيان الى ٢٥ في المائة من أصلها . ولم تذكر لنا ان هتلر يسير بقوة في ناحية رقية المادة الانسانية الالمانية بتعميق العاجزين والناقصين في الجسم أو العقل وهو ينظر خلال ذلك الى الشعب الالماني بعد ألف سنة

وهذه الشركات لم تنقل إلينا خبر « فطور أوصلو »

وما هو فطور أوصلو عند الذين لا يمجبه سوى تلك الاخبار الارجافية ؟
هو هذا : ان الامم الثلاث الاسكندناوية قد أخذت بنظام قد نشأ أولا في أوصلو عاصمة روج ، وهو ان الطفل عند ما يصل الى المدرسة يكون أول شيء يبدأ به أن يتناول فطورا يحتوي ثلث لتر من اللبن وكسرة من الخبز الاسمر وقطعة من الجبن وقطعة أخرى من الزبدة وتفاحة أو برتقالة أو أى فاكهة أخرى

هذا الخبر ذابل بعيد عن الارجاف وليس فيه جلجلة موسوليني ، ولكن لو استطاع الايطاليون ان يعمموا هذا الفطور في بلادهم لاصبحوا أمة متمدنة ولو ضلعت منهم الحبشة وطرابلس ، ونحن أيضا نستطيع ان نبدأ في الحضارة لو أننا فكرنا هذا التفكير بدلا من أن تفكر في انشاء مجمع لغوى تنفق عليه أربعين الف جنيه لكي يؤلف لنا ألقاظا كربة لا يستعملها أحد ، وكذا نكون متمدين حقاً لو أن هذا المبلغ الضخم قد اشتريناه به صابونا ووزعناه بين الفقراء لكي يفتسلوا أو لو أننا اشتريناه به لبننا أعطيناه للأطفال المعمرين المساكين في السيدة زينب وبولاق ان في أوروبا فضائل غير شرعية غالية من الأبهة لا تنقل إلينا شركات الاخبار شيئا عنها . ولسكننا في أشد الحاجة لان نعرفها ونعمل بها أو على الأقل نفكر فيها . وذلك لان هذه الاخبار تتصل باصلاح النفس واصلاح الجسم

ألمانيا تستغنى عن العالم

أعلن هتلر قبل اسابيع مشروع السنوات الاربع الذي يراد به أن تكفى ألمانيا نفسها فستغنى عن المواد الخام التي تشتريها من الاقطار الاجنبية وتصنعها من مواد أو محاصيل ألمانية . ويعتمد على هذه الخطة انها لا تحق مستعمرات تستطيع أن تأخذ منها موادها الخام ثم هي قليلة النقد لا يمكنها أن تؤدي الأمان الباهظة التي تطلبها هذه المواد في أسواق العالم ويجريء ألمانيا على أن تنشذ هذا الاستغناء عن العالم انها نجحت في الماضي في كثير مما

[illegible]

WJL

[illegible][illegible]

[illegible]

تحت إشراف: د. محمد عبد الحليم عبد الله
مراجعة: د. محمد عبد الحليم عبد الله

[illegible]

Abstract

[illegible]

© 2000 Blackwell Science Ltd, *Journal of Internal Medicine* 247: 161–168